روايات عبير

التنين الأسود

www.elromancia.com

ميرمورية

Claude McREYNOLDS

N° 620

روايات عبير

تقدم تقني هائل..
سرعة عظيمة غير مسبوقة.. مخاطر مروعة.
إنه جسور.. لا تعوزه الحيل.. هادئ رغم الصعاب...
إنه "توم سويفت" الشاب المخترع النابغة المتقدم يخطى مسرعة نحو مغامرة فوق الحافة الماضية للتقنية المتقدمة. لكن آخر لعبة اخترعها "توم": لوح "الركمجة" الطائر مفرط الموصلية المتحدي جاذبية الأرض- سقطت في أيد غير أمينة.. استقرت في عرين "التنين الأسود".
ذلك "التنين" المعروف أيضا باسم "زافيار ميس" نابغة شرير متفرد يعتزم تحويل لعبة "توم" إلى سلاح مدمر للعالم بأسره. على "سويفت" أن يستدعي كل ما له من مهارة وبراعة لقهر ذلك الرجل فاقد الصواب. لكن "التنين الأسود" أحاط نفسه بنظام دفاعي يستحيل اختراقه:
فلا يظهر إلا على هيئة صورة ضوئية مرسلة بأشعة الليزر!

ISBN 9953-424-96-9
9789953424965

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

المقدمة

أولى الحلقات في سلسلة مغامرات "توم سويفت" المخترع الشاب الجسور- الذي لا تعوزه الحيل ولا تخونه أعصابه رغم الصعاب- اختراع من نوع جديد في نطاق الخيال العلمي ومغامرات مثيرة تشد الانتباه، وتسعد القارئ.

الغلاف الأمامي

اختطاف في الجو

انطلق "ريك" فوق لوحه الجوي مرة ثانية يتبعه "توم" مسرعا. أحس "توم" وكأنه- أعلى موجة ذات طاقة عملاقة- مهدد بالسقوط طوال الوقت؛ زاد من سرعته مرة أخرى.

قال صوت "ساندرا" مقاطعا سماعات أذنيهما:

- هيي. يا شباب! إنكما تطيران بسرعة تسعين!

فصاح "توم" وهو يبذل جهدا مع جهاز القيادة:

- إنه وقت الهبوط بالمظلات.

- لا يمكنني! طوق قدمي ملتصق.

كان صوت "ريك" مختنقا.

جاء شكل أسود يهمس من الجو. تعرف "توم" من خلال مقدم خوذته دون الأحمر على طائرة مروحية مهاجمة مطلية ومؤهلة لمهمة تسلل.

انقضت الطائرة المروحية مثل صقر جارح وطارت إلى خارجها شبكة لصيد "ريك" ولوحه في عنان السماء؛ وذهب "ريك"!

شخصيات الرواية

" توم سويفت" الابن: الشاب العبقري.

"توم سويفت" الوالد: رجل أعمال، صاحب مجمع كبير لتصنيع المعدات والأجهزة الإلكترونية.

"ماري سويفت": والدة "توم".

"ساندرا سويفت": شقيقة "توم".

"هارلان أميز": رئيس جهاز الأمن بمنشأة "سويفت".

"ريك كانتويل": صديق "توم" وشريكه في مغامرة هذا العدد.

"ماندي كوستر": صديقة "توم".

"دان كوستر": ابن عم "ماندي"، وصديق "توم".

"زاڤيار ميس": التنين الأسود، العبقري الشرير.

"كوجار": معاونه.

"فيل رادنور": ضابط بالجيش، وصديق السيد "سويفت".

"روب": إنسان آلي شارك في المغامرة.

"أورب": إنسان آلي شارك في الأحداث.

الفصل الأول

قال "توم سويفت" محذرا صديقه "ريك كانتويل":

- لا تقل لي: إنني أبدو مثل مهرج.

لكنه كان يبتسم بينما كان يتحدث في مكبر الصوت المركب في خوذته بدائية الشكل.

كان "توم" يعلم أنه غريب المنظر. فبالإضافة إلى الخوذة التي كانت تغطي شعره الأشقر، ارتدى أيضا دثارا ثقيلا فوق ركبتيه ومرفقيه وكتفيه لحماية جسده النحيل. لكن كان الطوقان الثقيلان اللذان ثبتا قدميه إلى لوح "الركمجة" الكبير أغرب من أي شيء آخر.

- لن أقول غريبا بل...

وترامت ضحكة "ريك كانتويل" بوضوح من خلال سماعات "توم". توقف "ريك" عن الحديث عندما أدار "توم" قرصا مثبتا بلوحة التحكم الواقعة قبالة خصره. بدأ لوح "الركمجة" يصدر طنينا عاليا ثم طفا فوق الأرض بارتفاع ثلاث أقدام.

مرر "ريك" يده خلال شعره البني الأشهب وقد اهتدى إلى صوته أخيرا.

- إنه. لا يمكنني حتى أن أقول: إنه مثل السحر.

فقال "توم" ضاحكا:

- ليس سحرا بل كهرباء. لنجربه.

أدار قرصا بلوحة التحكم. ارتفع صوت الطنين، وزادت سرعة اللوح وهو يمر مسرعا فوق المسار المكسو بالمعجون البني المائل إلى الصفرة. كان ذلك المسار- وهو عبارة عن طبقة كهرو مغناطيسية مصممة خصيصا لهذا الغرض- في مثل أهمية اللوح ذاته، فعندما يزود بالطاقة ينتج عنه مجال كهرومغناطيسي عملاق يندفع نحو المادة المفرطة التوصيل باللوح فيجعله يطفو فوق سطح الأرض.

قال "توم" وهو يدير القرص:

- حسنا الآن. لنر كيف سيتحرك؟

التقط اللوح بسرعة محمولا فوق موجة غير مرئية من المغناطيسية.

انحنى "توم" قليلا نحو الأمام مثل راكب لوح "ركمجة" يتعامل مع موجة مياه.

صاح "ريك" عندما اندفع "توم" مسرعا أمام عينيه:

– أشبه بشيء نقرؤه في كتاب هزلي. انظر إلى هذا الرضيع يتحرك باية سرعة. يمكنك أن تدفع به!

هز "توم" رأسه محدثا نفسه بان هذا هو "ريك" وهذه هي طباعه كان "ريك كانتويل" أقرب أصدقاء "توم" إلى نفسه. كانا زميلين بالفصل بمدرسة "جيفرسون" الثانوية وبما أنه كان ظهيرا رابعا بفريق كرة القدم بالمدرسة أظهر "ريك" قوة وشجاعة تؤهلانه لتجربة أي من مخترعات "توم".

قال "توم" مخاطبا إياه:

– مشكلتك يا "ريك" هي تلك اللمسة من اللامبالاة. فبالنسبة إليك وضع واحد هو ما يستحق منك التجربة. هو الحد الأقصى للكمال ولهذا السبب أقوم أنا بتجربة هذا اللوح بدلا منك أنت .تعريف متجول للتعبير الهندسي "الاختبار حتى الدمار".

قال "ريك":

– نعم. لكن ما هي سرعته؟

تنهد "توم":

– ليس معي جهاز قياس السرعة بهذا اللوح، وبناء على ذلك أنت من ينبغي أن يخبرني. توجد بندقية رادارية.

فقال "ريك":

– وجدتها. سوف أصوب أثناء مرورك و...

ثم سكت صوت "ريك" بتعبير دهشة عال:

– أووه. هل تصدق أن السرعة تبلغ خمسة وسبعين؟

كان "توم" في تلك اللحظة رابضا فوق اللوح يبدو عليه وكأنه يصارع ريحا قويا.. وكان كذلك. فقد كانت مقاومة جوية تجاوز سرعتها سبعين ميلا في الساعة تحاول انتزاعه من فوق اللوح. قال "ريك":

أمر خطير. متى يحين دوري؟

بدأ "توم" يضحك

– خطير! إنه كذلك بالتأكيد.. لماذا إذن أنا متمتع إلى هذا الحد في ظل هذه الظروف؟

وكان "ريك" يضحك أيضا:

– هيي. لا تطلع والدك على هذا الأمر.

فقال "توم":

– لا. سوف نكتفي بأن نقدم له الوقائع والأرقام مثل العوامل التي تدفع هذا اللوح إلى الصعود إلى الجو.

باستخدام القرص الأيسر لخفض السرعة أدار "توم" القرص الأيمن ثم صاح عاليا عندما انطلق اللوح يصرخ في عباب السماء.

صاح "ريك":

– "توم". هل أنت بخير؟

– نعم.

وكان صوت "توم" مرتعشا قليلا عندما أجابه:

– دون ملحوظة لوالدي: يصعد هذا اللوح مثل طائرة نفاثة.

دار لوح "الركمجة" في جولة على ارتفاع حوالي مائة قدم في الهواء. نظر "توم" إلى أسفل. لو كان على ارتفاع أكبر بقليل ربما أمكنه رؤية "لوس انجلوس" لكن عند هذا الارتفاع كان "سنترال هيلز" باسره عند قدميه.

ومن تحته مباشرة كانت مؤسسات "سويفت" البالغ مساحتها أربعة أميال مربعة شبه مختفية في التلال. قال متمتما:

– عليك أن تعطيه للوالد. عندما يصمم شيئا ما..

أضفى تصميم مجمع الشركات عليه مظهر مدينة صغيرة لكن الأبنية ذاتها بدت وكأنها حفنة مجوهرات ومعدن لامع قذف به عملاق إلى وادي الجبل. تألقت قبة مفاعل الانصهار المستديرة في وسط المجمع منعكسة على واجهات أبنية المعامل المصنوعة من الزجاج والكروم.

رأى الكثير من بريق الزجاج والخرسانة فاتحة اللون الذي أضفى على أبنية المصنع العملاقة جوا من الفرحة والمرح. رأى "توم" أسفله ممرات الهبوط

الخاصة بالطائرات والمروحيات كما رأى قاعدة إطلاق الصواريخ. ثم رأى رقعة انتظار سيارات موظفي "سويفت" البالغ عددهم ثلاثمائة موظف ودار الحضانة المطلية بالألوان الزاهية المبهجة. والتي كانت توفر لأطفالهم الرعاية النهارية.

لكن مركز فلكه كان حقول الاختبار. حتى فيها أقيمت المباني الخرسانية كئيبة المظهر عادة؛ بحيث تتناسب مع الصورة العامة الغنية بالألوان.

لحظ "توم" أن المنطقة كانت تزدحم بالناس تدريجيا. كان الفنيون العاملون بمنشآت "سويفت" معتادين رؤية أشياء غريبة. لكن شابا في الثامنة عشرة من عمره فوق لوح طائر على ارتفاع عشرة طوابق من الهواء كان شيئا لافتا للانتظار.

هبط "توم" باللوح إلى الأرض مسرعا وتخلص من الطوقين ثم ذهب إلى "ريك" قائلا:

– هيا. لنقم بتركيب مختبر المناورة.

ثم انحنى فوق عربة العمليات الصغيرة، وقد تورد وجهه الجميل النحيل قليلا. قال:

– أتمنى لو أنهم لا ينظرون إلي.

فقال "ريك":

– إنه مشهد رائع حتى لو كنت لا أفهم كيفية عمل هذا الشيء الغريب.

فأجابه "توم":

– إنه أشبه بحيلة الأطفال في جعل مغناطيس صغير يطفو فوق آخر أكبر منه باستثناء أنه بدلا من استعمال مغناطيس استخدم سيراميك مفرط التوصيل.

– أخرج من بلدنا سيراميك كالذي نراه في قدور نباتات الزهور؟

ضحك "توم" قائلا:

– مصنع ليناسب خدمة أشق من قدور نباتات الزهور. فهذا النوع من السيراميك يعمل على توصيل الكهرباء أكثر من سلك من النحاس. إذ يكاد أن يكون خاليا تماما من المقاومة. وعندما يلتقي بمجال مغناطيسي يعمل كمرآة، يعكس نفسه بعيدا عن مساره. إنها نظرية معروفة منذ قرن

من الزمان تقريبا.

دفع "ريك" يديه إلى داخل الجيبين الخلفيين لبنطلونه الجينز المستهلك ثم هز رأسه قائلا:

– لكنها كلفتك الكثير حتى تضعها موضع التنفيذ ولا عجب في أن تلك الكليات مثل "هارفارد" على استعداد لقبولك بها على الفور.

اكتفى "توم" بأن غمز بإحدى عينيه قائلا:

– لكنني أحب تشجيع فريق "چيفرسون" لكرة القدم.

ضغط على زر كهربائي بالعربة الصغيرة ثم تحدث في الميكروفون:

– "روبوت"! "الإنسان الآلي" هل تسمعني؟

– أستقبل عاليا وواضحا.

جلس الإنسان الآلي في وسط مسار بيضاوي الشكل أمام عربة صغيرة توءم لتلك التي كان "توم" يستخدمها. تناثرت حول الإنسان الآلي بوبيات على الأرض. وفقا لنظام معين جعلها تبدو مثل رقعة شطرنج عملاقة.

بدت الحيرة على وجه "ريك" العريض طيب الملامح. سأله:

– ماذا من المفترض أن تكون فاعلا؟ تلعب الشطرنج؟

– كل مربع من هذه عبارة عن خلية مستقلة مزودة بمغناطيس كهربائي صغير وإن كان قويا.

مد "توم" يده إلى أحد جانبي اللوح وضغط على بعض المفاتيح الكهربائية قائلا:

– هذه البوبيات المسحورة تخفي مختلف المعوقات.

سأله "ريك":

– أي نوع منها؟

ابتسم "توم" قائلا:

– انظر وسوف ترى.

ثم قفز إلى لوح "الركمجة" مرة أخرى وقام بتشغيله فصدر عنه طنين العودة إلى الحياة ثم أقلع به. وبدلا من أن يطوف به حول مسار الاختبار طار عبر المسار في هذه المرة إلى رقعة الشطرنج.

– عندما أصل إليك يا "روبوت" تكون هذه هي نهاية التجربة .

– مفهوم.

واندفعت يدا الإنسان الآلي أعلى عربة التحكم. وفي الحال فتحت إحدى البوبيات الأرضية وحاول تيار قوي من الهواء المضغوط أن يسقط "توم" من فوق اللوح. اتخذ "توم" مسارا متعرجا حتى يتلافى قوة التيار.

اتصل "ريك" بـ"توم" من خلال سماعة الرأس قائلا:

– اختبار عنيف يا "سويفت" يبدو أقرب إلى مسل عملاق بحديقة ملاه.

فتحت في تلك اللحظة أمام "توم" مباشرة بوبية أخرى انطلق منها انبثاق مائي من ثجاجة عملاقة. قبض "توم" على مفاتيح التحكم قبالة خصره وأسرع بلوحه بعيدا عن تلك التيارات الخطرة.

بدأت البوبيات الأخرى تفتح الواحدة تلو الأخرى من حول رقعة الشطرنج باعثة نحو "توم" بمختلف أنواع "الأسلحة"، فقد تطايرت في الهواء أكياس دقيق وعلب طلاء وحتى مجموعة من الفطائر المغطاة بالقشدة. ضحك "ريك" إزاء روح "توم" المرحة إلى حد الجنون.

– فطائر بالقشدة!

لكن "توم" سلك طريقه من بين هذا التنظيم "الناري الموجه" دون أن يمسه شيء يذكر مثل سمكة عملاقة فوق موجة غير مرئية.

قال "ريك" مبتهجا:

– لقد وصلت تقريبا.

التف "توم" باللوح استعدادا للهبوط خلف عربة التحكم. أمال الإنسان الآلي رأسه جانبا وأبرقت عيناه وكانتا عبارة عن خليتين كهروضوئيتين. اندفعت إحدى يديه بعد ذلك نحو أجهزة القيادة بشبكة القوى وأدار قرصا ما.

– هيي! لست مبرمجا لـ...

كان هذا كل ما استطاع "توم" قوله عندما أصيبت الشبكة الكهرومغناطيسية من تحته بحالة من الجنون. هبط اللوح تحت قدميه مثل حيوان جامح يريد أن يقذف به.

اندفع بعد ذلك إلى عباب الجو في مسار شرس من غير الممكن التحكم فيه على أي نحو كان. قاوم "توم" بكل أساليبه مستخدما الأقراص المركبة فوق لوحته الخصرية ليقوم وضع اللوح "الركمجي".

كاد أن ينجح في ذلك في الوقت الذي انطلق فيه تيار مغناطيسي عشوائي هز اللوح في بادئ الأمر ثم أسقطه. خرجت قدما "توم" من طوقي القدمين، فبدأ يسقط ولا شيء من تحته سوى سبعين قدما من الهواء والأرض الباردة اليابسة.

الفصل الثاني

قام "توم" بفرد ذراعيه مثل سابح في الهواء في محاولة لأن يقلل من سرعة هبوطه إلى الأرض صاح في ميكروفون خوذته:

– "ريك" – أكياس الهواء!

سعد أنه قد فكر في أن يضع أكياس الهواء القابلة للنفخ المتاحة بين معدات الطوارئ التي استعان بها.

ظهرت بقع بيضاء متفتحة فوق الأرض عندما قام "ريك" بنفخ الأكياس إذ أمكن ملء هذه الأكياس البيضاء الكبيرة بالهواء في غضون ثوان معدودة. أسرع الفنيون للمساعدة حيث دفعوا الأكياس لضمها معا.

لكن "توم" لحظ أن الإنسان الآلي الذي أمام عربة التحكم قد بدأ يفعل شيئا ما لم يستطع "توم" أن يعرفه ،لكنه كان يعلم أنه لم يزل هناك الكثير من تلك الحيل القذرة الأخرى المختفية تحت تلك البوبيات، والتي قد تفسد محاولة إنقاذه. ضم ذراعيه إلى جنبيه؛ كي يعجل بالهبوط حتى يمكنه تشغيل لوحة التحكم الخاصة به.

محاولتان مع الأقراص وانطلق لوح "الركمجة" مثل صاروخ مخترقا المجالات المغناطيسية التي كانت في حالة استقرار وقتئذ. انقض اللوح مسرعا إلى أسفل ليصطدم برأس الإنسان الآلي مباشرة ثم وبقرقعة مذهلة اختفى الإنسان الآلي ولوح "الركمجة" في الانفجار.

وقف "توم" مذهولا. كان كل ما يريده هو أن يسقط الإنسان الآلي.

لكن لم يتسع وقته لمزيد من التفكير؛ إذ كانت الأرض تقترب منه بسرعة مذهلة، ثم تحول العالم كله إلى اللون الأبيض عندما سقط "توم" فوق جبل من الوسائد المملوءة بالهواء.

انفجر الكيس الهوائي الأعلى بفعل الاصطدام لكن بقية الأكياس أمنت سقوط "توم" على الوجه المطلوب. صعد "ريك" إليه وهو يصيح:

– "توم"! هل أنت بخير؟

وجد "توم" مطروحا بشكل نصر ناشر في الجيب الذي صنعه في الوسائد. هز رأسه قائلا وهو يرفع نفسه من فوق كيس الهواء المنفجر:

– دائما ما تساءلت عن إحساس الدبوس عندما يفجر بالونة.

كان عدد من مستخدمي منشآت "سويفت" – بعضهم من طاقم الطوارئ والبعض الآخر من العاملين الفنيين – قد تجمعوا في الموقع. رفعوا أبصارهم قلقين بينما هبط "توم" من فوق جبل الوسائد وبدأ يخلع خوذته والأغطية الواقية من كتفيه.

– لا بأس جميعا وأنا بخير.

ساله شاب أسود الشعر ارتدى معطف المعمل:

– ما الذي حدث؟ بدا الأمر وكأن إنسانا آليا الاختبار قد خرج عن نطاق التحكم.

وقال آخر:

– أفضل شيء فعلته هو أنك قمت بتفجيره قبل أن يتمكن من أن يفعل شيئا بإدارة أجهزة القيادة.

هز "توم" رأسه قائلا:

– لم أقصد تفجيره. ربما أتوصل إلى الخلل الذي حدث عندما أفحص الحطام الناتج عنه.

فقال الشاب ضاحكا:

– حظا سعيدا.

عرف "توم" السبب: تناثرت أجزاء الإنسان الآلي في البقعة مع بقايا اللوح المهشم. لم تكن هناك أجزاء كثيرة من لوح "الركمجة"؛ لأن الجزء الأكبر منه قد تفكك إلى مسحوق براق. لم يجد "توم" من اللوح سوى

قطعة واحدة كبيرة–نوعا– لم يزل أحد طوقي القدمين مثبتا بها.

نظر "ريك" بإمعان إلى ذلك الحطام البراق:

– ماذا نحن فاعلون بهذا الحطام؟

التقط "توم" حفنة من المسحوق البراق قائلا:

– ننظفه بمكنسة على ما أرى.

كان من بين جزيئات الغبار التي في كفه بللورات متألقة خرجت منها موجات كهربائية على هيئة أقواس دقيقة في كل مرة تلامست فيها ببعضها البعض أو لامست فيها جلده. بدا المشهد –أقرب إلى عاصفة رعدية مصغرة أو عرض صغير لألعاب نارية – جميلا للغاية. لكنه لم يكشف له عن العطب الذي حدث. كما لم يكشف له أي من تجاربه واختباراته السابقة عن أي إمكان لأن يعطل مجال اللوح المغناطيسي عقل الحاسب الآلي. أي سبب آخر من الممكن أن يكون هناك؟

قاطع صوت "ريك" تفكير "توم":

– إنني متأهب لتفاصيل التنظيف.

ثم ابتسم وهو يتوجه نحو رقعة الشطرنج حاملا مكنسة على كتفه:

– أريد أن نلتقط كل شيء بهذه الرقعة. أريد أن أفحصه.

وترك "توم" الغبار المتألق يسقط من يده وبدأ يبحث عن شيء يجمع فيه ذلك الغبار.

سار بمحاذاة المسار متسائلا عما إذا كانت المشكلة راجعة إليه. كان أسفل تلك الطبقة البنية العازلة قدر من تلك المادة مفرطة التوصيل التي كان "توم" قد اخترعها والتي عندما كانت توضع على شكل دائرة كانت شحنة كهربائية دوارة تنتج مغناطيسية. وكان المجال المغناطيسي المدفوع نحو المادة المفرطة التوصيل باللوح تجعله يطفو في الهواء فوق سطح الأرض.

هل من الممكن أيضا أن يعطل المجال الكهرومغناطيسي عقل الحاسب الآلي بإنسان آلي؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تتأثر به أجهزة تشغيل بوابات الفتحات التي تعمل بنظام حاسب آلي أكثر بساطة؟

كان "توم" لايزال مستغرقا في التفكير في هذه النتائج الغريبة وهو يحمل صندوقا من الكرتون عائدا إلى حيث كان "ريك" واقعا بعد ما نجح

في جمع كل الحطام الذي كان هناك. بدأ "ريك" يقول:

– ربما أمكننا وضع هذا الصندوق في الحقيبة الخلفية لسيارتي...

ثم توقف فجأة ليقول:

– أووه يا عبقري. ما الذي يدور بذهنك الآن؟

سأله "توم":

– ماذا تعني؟

– أرى على وجهك مؤشرات عبارة تقول لا تزعجني الآن؛ فإنني مقدم على اختراع شيء ما.

ضحك "توم" رغما عنه. حك رأسه الأشقر ثم قال:

– كنت أتساءل عن وسيلة لحماية رقائق الحاسب الآلي من المغناطيسية ولم يحالفني الحظ.

وضع مخلفات التجربة الفاشلة في الحقيبة الخلفية للسيارة الـ"چاجوار" البالغ عمرها خمسة عشر عاما، ثم قفز إلى داخل السيارة. قام "ريك" بتشغيل محرك السيارة الذي بدا- بحكم الصوت الذي صدر عنه -أقرب إلى كونه خلاط خرسانة منه إلى آلية سرعة. قال "توم":

– لقد استوفت هذه السيارة العتيقة زمانها. لماذا لا تترك لي عجلة القيادة؟

فقاطعه "ريك" قائلا ويداه تحكمان القبض على عجلة القيادة:

– لا أحد يلمس حبيبتي الجميلة سواي.

– حسنا. حبيبتك الجميلة تصدر أصواتا تفيد بأنها موشكة على التقيؤ.

قال "توم" ذلك وكانا في طريقهما إلى مركز الإدارة ومع ذلك وجد أنه يبتسم أثناء مروره بالأبنية المحيطة به. كان مجمع "سنترال هيلز" أفضل مخترعات والد "توم"، المكان الأمثل للاختراع. إذ جمع ما بين الحرية وتوفر المعدات والأجهزة والعبقرية؛ حتى يعود بالفائدة على العالم أجمع. وكان هذا الموقع بالنسبة لـ"توم" الابن معملا، ومكان متعة يمكن له فيه أن يضع أي شيء يتصوره موضع التنفيذ.

أي شيء تقريبا. ما الذي ألم بالتجربة؟ ألح هذا السؤال على ذهن "توم"

بينما واصل "ريك" قيادة السيارة على طول الطريق المؤدي إلى مركز الإدارة. كان ذلك المبنى ذو الواجهة الزجاجية بحق مركزا لمنشآت "سويفت". فقد تشعبت من هناك جميع طرق المجمع مثلما تتشعب الأشعة في العجلة.

أوقف "ريك" السيارة في إحدى الرقع المخصصة لانتظار السيارات، وقفز "توم" إلى خارجها حيث حمل الصندوق المحتوي على الحطام من الحقيبة الخلفية. توجها إلى المدخل الرئيسي مباشرة. مارين برقعة فسيحة مكسوة بالعشب الأخضر تتخللها شجيرات الورد والزهور.

كان مكتب موظفة الاستقبال مجاورا للباب مباشرة. رفعت "ماري چينينجز" بصرها من فوق مقعدها قائلة:

– "توم"! يريد والدك أن يتحدث معك.

فقال "توم":

– سوف أحمل هذا إلى المعمل. يمكنه الاتصال بي هناك في غضون بضع دقائق أو أذهب أنا إلى مكتبه قبل أن أرحل.

اخترق "توم" و"ريك" البهو الفسيح بدون نظرة إلى الصواريخ المعروضة على الجدران من إنتاج "سويفت". كان ذلك العرض من قبيل العمل السياحي على الرغم من أن "السائحين" الذين كانوا يقدمون إلى ذلك المكان كانوا دائما إما. علماء متميزين وإما زعماء دوليين. توقف "توم" خلف صف المصاعد الرئيسية أمام باب خفي ودفع بمفتاح معلومات معين مستدعيا أحد المصاعد من الطابق ما تحت الأرضي.

استقلا المصعد وانطلقا إلى الطابق الأدنى. قال "ريك":

– لقد أثرت عليك هذه الحادثة بحق.

– لا أحب الأشياء التي لا معنى لها.

فتح باب المصعد على حجرة صغيرة ذات باب معدني كبير كان في مواجهتهما. لم يكن به أي شيء من قبيل الزينة سوى محيط لبصمات كف موضوعة في وسط الباب. اتخذ "توم" خطوة إلى أعلى ثم ضغط يده عليه مما جعل البصمة تومض بضوء أخضر زاه. كان ذلك يعني أن الباب الذي يعمل بالكمبيوتر قد تعرف على "توم". بصمات ثلاث أيد فقط في

العالم كله هي التي كان باستطاعتها أن تفتح الباب – بصمة يد "توم" ووالده و"ريك".

فتح الباب بجلبة عالية، توجه "توم" و"ريك" إلى ممر طويل ثم انعطفا إلى اليسار عند تفرع درجين. وصلا إلى باب آخر ركب بواسطة مكبر صوت صدر عنه صوت ميكانيكي قال:

– من الذي سجل "جائع مثل الذئب"؟

ابتسم "ريك" وأجاب قائلا:

– "ديوران ديوران".

وهز رأسه والباب يفتح.

– لا يمكنني أن أصدق أنكم تستخدمون مثل هذه التفاهات لحراسة بابكم. ما الذي يحدث إذا لم تتمكنوا من الإجابة على أحد الأسئلة؟

هز "توم" كتفيه قائلا:

– لم يحدث هذا بعد. وفضلا عن ذلك، هذا الباب –في الواقع– يقوم بفحص ومطابقة بصمات صوتك.

دخلا معمل "توم سويفت".

كانت الحجرة بحجم ملعب كرة بيسبول لكن فواصل كانت تخرج من الجدران لتشكل حاجزا على بعد حوالي عشر أقدام من الباب، وقف أمامهما شكل شبه بشري– لو كان طول قامة البشر سبع أقدام ولو كانوا يصنعون من معدن براق.

انطلق الإنسان الآلي يقول بصوت معدني متقطع عال:

– أهلا يا سيد.

ساله "ريك":

– ماذا هناك يا "روب"؟ هل تعاني من احتقان بحلقك؟

قال "توم":

– لا. لقد رأى في الليلة الماضية فيلما خيالا علميا قوميا.

فقال "روب" بصوت أكثرا اقترابا من الطبيعي:

– "مصاصو الدماء القادمون من الغلاف الأيوني". فيلم عظيم. انظر.

رفع الإنسان الآلي فيلم فيديو أدخله في صدره ثم التفت نحو أحد

الجدران فانطلقت أشعة ضوء من رأسه مكونة صورة بالأبيض والأسود على الجدار. إنسان آلي مصنوع من قطع الخردة القديمة أخذ يسير على نحو متيبس إلى الأمام ويترنم بصوت رفيع قائلا:

– اقتل– أبناء– الأرض".

راقب "ريك" المشهد مبهورا. سال:

– متى ركبت دائرة الفيديو وتليفزيون العرض في "روب"؟

فقال "توم":

– لم أفعل ذلك. لكنه أحد التغييرات التي يجريها "أورب".

ثم تلفت من حوله متسائلا:

– وبهذه المناسبة أين هو شريكك في هذه الجريمة؟

أطفأ "روب" الفيلم ثم قال:

– طلب "أورب" مني أن أحمله إلى الحاسب المركزي في مقابل نصيب من المعلومات.

كان "روب" و"أورب" قد صمما أصلا كإنسان آلي واحد ذي وحدة ذاكرة قابلة للنزع والنقل. وكان "أورب" هو وحدة البيانات وهي عبارة عن كرة فضية في حجم كرة السلة. كان "روب" قد بدأ بكونه وحدة التسليم، وقد صنع كي يكون بمثابة ذراعي "أورب" وساقيه. وقد انتهت تجارب "توم" في مجال الذكاء الصناعي بوحدتين أصبحت لكل منهما شخصية مستقلة عن الأخرى تماما. كذلك قام هذان الإنسانان الآليان بإجراء تعديلات وتغييرات لنفسيهما.

قال "توم" مخاطبا الإنسان الآلي:

– افتح نوافذ الحجرة وأضيء بعض المصابيح.

وفي الحال انزلقت الفواصل إلى داخل الجدران في اللحظة التي أضيئت المصابيح فيها. كان المعمل مليئا بالماكينات نصف المركبة –أو نصف المجمعة– والأجهزة العلمية، وثلاث حاسبات آلية. كان هناك أيضا لوحان آخران – مثل ذلك اللوح الذي كان "توم" قد أجرى الاختبار عليه– مستندان على أحد الجدران. وكان جدار آخر مملوءا بمواد علمية – معادلات ورسوم بيانية مدونة بوضوح على طلاء خاص قابل للغسل.

تقدم "توم" من إحدى مناضد العمل. قال:

– أعطنا موسيقى تساعدني على التفكير؛ إنني بحاجة إلى التوصل إلى شيء ما.

وفي الحال بدأت موسيقى جيتار كهربائي تنبض خارج أجهزة الكلام المركبة في "روب". التقط مكبر صوت بأحد أركان الحجرة صوتا جهيرا بينما نبض جهاز كلام آخر بضربات طبول. سأل "ريك":

– ما اسم هذه الفرقة الموسيقية يا "روب"؟

فأجاب الإنسان الآلي قائلا:

– إنه مجرد لحن صغير قمت بوضعه.

أفرغ "توم" الحطام فوق إحدى مناضد المعمل وبدأ يفحصه. قال "ريك" وهو يتوجه إلى صندوق كبير بأحد أركان الحجرة:

– هيا يا "توم". لا تجعل هذه الحادثة تؤثر عليك.

كان "توم" قد كتب كلمة "يا إلهي" بحروف كبيرة باستعمال فرشاة الطلاء.

– لنر أية فقرات أخرى لدينا هنا ترمز للفشل بحرف ال "F" وبعد بحث استمر ثانية واحدة أتى حاملا علبة من الكرتون مغلقة بإحكام:

– أوه! هل تذكر هذه؟

فتح "ريك" العلبة وامتلأ الجو بالطنين – طنين عال أشبه بالأنين.

التفت "توم" بعيدا عن عمله.

– ألم تطلق الملقحات الآلية؟

أخذت آليات مجنحة صغيرة تطوف في أرجاء الحجرة. كان "توم" قد اخترعها حتى تقوم بعملية التلقيح للنباتات، لكن عقولها الإلكترونية متناهية الصغر تعرفت على كل شيء تقريبا على أنه شبيه بالنبات. فقد حاولت تلك الآليات تلقيح الشياب وآذان الآدميين وأنوفهم. لم يكن طنينها أكثر إزعاجا من طنين الناموس فحسب بل كانت أيضا أصعب طردا منه.

سأل "ريك":

– ما الذي أصيب بالعطب اليوم في رأيك؟

– ربما أمكنني الاهتداء إلى ما حدث بمضاعفة الاختبارات هنا بالمعمل.

أفسح "توم" مكانا فوق المنضدة ثم التقط علبة رش قائلا:

– هذه هي المرحلة الثانية من مشروع اللوح. السباحة المغناطيسية في الهواء هي التي تحتفظ باللوح في الهواء. لكنها بحاجة إلى كهرومغناطيس من تحته–أي مثلما يحتاج القطار إلى قضبان. لك أن تصدق أو لا تصدق أن هذه العلبة تحتوي على قضبان بالرش.

سأله "ريك":

– ماذا تعني؟

– ينبغي أن ترى حتى تصدق.

وصوب "توم" العلبة إلى الجزء الخالي من سطح المنضدة ثم قام بالرش منها مخلفا صبغة مائلة إلى البني بيضاوية الشكل.

– ما الذي فعلته حالا؟

فقال "ريك":

– أفسدت سطح المنضدة.

فقال "توم" وهو يربت على الحلقة التي كانت قد جفت:

– لقد وضعت كهرومغناطيساً. وهو طبقة رقيقة للغاية من مادتين مفرطتي التوصيل ما بين طبقتين عازلتين.

فقال "ريك":

– لازلت غير متفهم تلك المادة مفرطة التوصيل. كنت أظن أنها لا تعمل إلا عند مئات الدرجات تحت الصفر.

فقال "توم":

– هذا صحيح. خلائط من أمثال سيراميك "يول تشو" الأتربومي لا تعمل إلا في ظروف من البرودة الشديدة. لكنني تمكنت من أن أضيف سمتي الخاصة إلى التركيبة – وهي الكهرباء الساكنة.

رفع برطمانا زجاجيا مملوءا بغبار براق:

– كل من نقاط الضوء هذه عبارة عن بلورة دقيقة رفيعة وطويلة الجزيئات التي تتالف منها هذه البللورات بكل منها جزيء آخر بداخلها وبذلك يكون محتبسا بداخل نافذة شبكية من ذرات الكربون.

فقال "ريك":

– "توم". لقد أتهتني.

– حسنا. سأبسط لك الأمر. عند تكون هذه البللورات تحتبس بداخلها شحنة كهربائية. فهي شبيهة بمفرطات التوصيل وحيدة الخلية. وعندما تدخل في مركب "تشو" واحد– اثنان– ثلاثة تجعله أكثر فائدة وفعالية.

فقال "ريك":

– ليست ذات فائدة كبيرة مادامت تدفع بالمخلوقات الآلية إلى الجنون.

– لا أعتقد أن المواد هي السبب في تلك المشكلة. انظر.

فتح "توم" برطمان البللورات وسكب بعضا منها فوق الشكل البيضاوي الكهرومغناطيسي. اتسعت عينا "ريك" دهشة عندما طفت البللورات البراقة في الهواء وظلت عالقة فوق المجال المغناطيسي في شكل أشبه بالهالة. قال:

– هذا يبدو مألوفا.

– والآن كل ما نحن بحاجة إليه هو عدد من الكائنات الآلية.

وبدأ "توم" يدفع بآليات التلقيح نحو تجربته. فما إن رأت تلك الكائنات الدائرة البراقة حتى ظنتها زهرة، وفي الحال أوضح الهواء ما فوق الكهرومغناطيس بتلك الكائنات الصغيرة.

قال "توم":

– لا تبدو عليها علامات الجنون.

فقال "ريك" مقترحا:

– ربما أن السبب راجع إلى أنه ليس لديها من العقل ما يكفي لان تتأثر.

– هذا سبب جدير بالاعتبار.

وبدأ "توم" يفحص الحطام من جديد. قال:

– لو أنني أستطيع الاهتداء إلى بعض أجزاء من عقل الإنسان الآلي والذي كان يعمل بالكمبيوتر، لكن الجزء العلوي منه هو الذي انفجر.

أخذ "توم" يلوح بيديه حتى يبعد عن وجهه تلك الحشرات الميكانيكية وقد تسرب عدد آخر منها إلى ساق الإنسان الآلي الذي كان يفحصه.

هز الساق كي يخرجها منها فسقط شيء ما فوق المنضدة. تأمل "توم"

ذلك الشيء بنظرة اهتمام فاحصة متجاهلا سحابة الحشرات الآلية التي كانت تحوم حول وجهه.

ساله "ريك" بينما كان يطرد واحدة من تلك الحشرات:

– هل وجدت شيئا؟

قال "توم" مفكرا:

– ربما. هذا جزء من لوحة دائرة مع ما يبدو كأنه رقاقة ذاكرة محترقة تماما.

– ساقا الإنسان الآلي بهما ذاكرة؟

هز "توم" كتفيه قائلا:

– كانت بداخل الساق هنا لكن هل هي من الإنسان الآلي أم من اللوح؟

ربت على تلك القطعة الصغيرة مقطبا ثم قال:

– أيا كان مصدرها فإنها لا تبدو كإحدى معدات "سويفت" القياسية.

ثم نظر إلى "ريك" قائلا:

– ماذا كانت تفعل إذن بمنطقة اختبارنا؟

الفصل الثالث

تأمل "ريك" تلك القطعة من مكونات حاسب آلي ثم قال:

– هل استخدمت لتخريب التجربة؟

فقال "توم":

– ربما. فالموصّلية المفرطة من العلوم المثيرة في هذه الأيام. ربما أن شخصا ما لا يريد للوحي "الركمجة" أن...

– "توم".

جاء صوت عميق من خلفهما. استدار الشابان معا في ذات اللحظة فرأيا والد "توم" واقفا في وسط المعمل. قطع "روب" الموسيقى في الحال.

كان الشيب قد بدأ يدب في شعر "توم سويفت" الوالد، وكان أشقر بلون شعر الابن، وبدت على وجهه خطوط من شأنها أن تتحول إلى تجعدات في القريب العاجل. لكن عينيه الزرقاوين الثاقبتين كانتا في مثل

www.elromancia.com

حدة وحداثة عيني ابنه. بدا شبه شفاف، وتبين الشابان أنه كان كذلك! فكانا أمام رسالة عاجلة.

كان السيد "سويفت" مقطبا. قال:

– وقفت خلف كاميرات الاختبار لمتابعة تجربتك هذا الصباح. ما الذي حدث؟

فقال "توم":

– تحطم الإنسان الآلي الذي كان واقفا عند منضدة التحكم.

بدأ "ريك" يقول:

– يعتقد "توم" أن...

لكن "توم" أشار إليه من خلف ظهر والده بأن يسكت. ثم قال "توم":

– يحتاج الأمر إلى مزيد من العمل.

ودخلت إحدى تلك الحشرات الآلية الدقيقة إلى أذنه. فأخذ "توم" يدلك أذنه بشدة محاولا أن ينتزع تلك الحشرة منها.

تنهد السيد "سويفت" قائلا:

– لا أملي عليك ما تبحثه يا "توم"؛ لكنني أذكرك بأن منشآت "سويفت" تعتمد عليك كل الاعتماد في شأن هذه الموصلية المفرطة.

ثم بدا الرجل أكثر جدية وهو يقول:

– من شأن الكابلات مفرطة التوصيل أن تجعل شبكة القوى عالية الكفاءة، بحيث يمكننا توفير ما يوازي وقود ستين محطة قوى. ما هي تقديرات التكلفة المستقبلة؟ هل بدأت حسابها بعد؟

– أووه– لا.

– أعلم أنك مولع بموضوع السباحة في الهواء بفعل المغناطيسية مثلك في ذلك مثل الكثيرين. لكن ما الذي لدينا لنعرضه عليهم؟ مركبتنا الخالية من الاحتكاك هي لوح "ركمجي" طائر.

ثم هز رأسه قائلا:

– لوحك "الركمجي" هذا مشروع مرتفع التكلفة، انظر كم كلفنا هذا الاختبار الأخير. لقد أنفقنا عليه حتى الآن من مخصصات الموصلية المفرطة. وما لم تبدأ في الحصول على نتائج مرضية فسوف نضطر إلى

خصم هذه التكاليف من ميزانية معملك.

وجاء دور "توم" ليتنهد قائلا:

– نعم.

– أسد لي معروفا إذن بجمع هذه الحشرات.

وابتسم السيد "سويفت" ثم تلاشت صورته تدريجيا.

قال "ريك" وهو يطرد الحشرات من حوله:

– إنني أتساءل عما إذا كان والدك جادا فيما قال. لماذا لم تخبره بأن تخريبا متعمدا ما قد استهدف تجربتك؟

– ليس لدي دليل على ذلك، ومن غير الممكن أن أقدم لوالدي تبريرا كهذا مادام لا يمكنني إثباته. ذهنه مثقل بأمور كثيرة في هذه الأيام.

– ماذا نفعل الآن إذن؟

فقال "توم":

– لا علم لي عنك لكن لدي مؤشرات تقديرات التكلفة التي ينبغي أن أنتهي منها وليست بحجم العمل الصغير.

سأله "ريك":

– كنا سنذهب اليوم إلى الشاطئ. هل تذكر؟ قالت "ساندرا" إن أناسا كثيرين سيكونون هناك.

ثم رمق "توم" بنظرة خبيثة مستطردا:

– وعلمت أن "ماندي" ابنة عم "دان كوستر" من المفترض أن تذهب معهم أيضا.

تحدث "توم" بشغف قائلا:

– "ماندي كوستر" ستكون هناك؟

وعندما لحظ ابتسامة صديقه الماكرة. قال:

– أعني... أووه! حسنا فرصة ظريفة لها كي تلتقي بأناس آخرين خاصة وأنها قد حضرت إلى "سنترال هيلز" منذ وقت قريب.

فقال "ريك" وقد أحس بارتياح شديد إزاء ما اكتشفه من أن صديقه ميال إلى "ماندي".

– فرصة ظريفة لها لأن تتعرف بك بقدر أكبر.

لم يسع "توم" إلا أن يبتسم وكانت ابتسامته مشرقة عريضة أضاءت وجهه.

– نعم. إنك محق في ذلك.

استطرد "توم" يقول:

– عمل طوال الوقت ولا فرصة للترفيه..

– هيي! إنني مقتنع بما تقول لكن يتعين علي البدء بحساب التكاليف. "روب".

والتفت "توم" إلى الإنسان الآلي قائلا:

– ضع "أورب" على الخط معي.

وفي غضون ثوان ظهر شكل غريب آخر كان أصغر حجما بكثير عبارة عن كرة فضية بحجم كرة السلة فوق الأرض.

– تريد أن تتحدث معي يا "توم"؟

كان صوت "أورب" هادئا دائما ومهذبا دائما وإن كان أقرب إلى صوت إنسان آلي. بدا الأمر وكأن "أورب" قد انتزع من تفكير عميق.

قال "توم":

– أريد دراسة جدوى حسابات التكاليف في مقابل الفوائد في شأن استخدام الموصّلية المفرطة في كابلات القوى– كما تعلم – المواد والتصنيع والمبالغ التي يتعين علينا توفيرها لتغطية مصروفاتنا في مقابل وفر الطاقة.

قال "أورب":

– هناك عدد من المتغيرات التي يتعين التعامل معها. سوف تكون هذه الدراسة جاهزة بحلول الرابعة من بعد ظهر اليوم.

قال "توم":

– عظيم. ألتقي بك عندئذ.

ثم التفت إلى "روب" قائلا:

– معاونة أورب" هي أولى أفضلياتك الآن. إذا كلفك شخص آخر بعمل ما فأخبره بأنني قد كلفتك بمساعدة "أورب".

فقال "روب":

– فهمت. ولا ينبغي أن يكون "أورب" بحاجة إلى الكثير. لانه في

مركز الكمبيوتر بالفعل.

تردد "أورب" قليلا ثم قال:

– هذا صحيح. لكنني سعيد بان أكون صاحب الحق الأول في تشغيل "روب".

واختفت صورة الكرة عن الأنظار في لمح البصر. قال "روب" مخاطبا "توم":

– اذهب واستمتع بوقتك. أنا شخصيا لست من هواة ارتياد الشواطئ؛ لانني لا أحب أن تدخل الرمال في تروسي. "أورب" وأنا سوف نتولى أمر هذه الدراسة. لانه ما فائدة اختراع وسائل توفير العمالة مادمت لا تستخدمنا للقيام بالعمل عوضا عنك؟

وعلى الرغم من كل ما قاله "روب" لم يكن "توم" سعيدا تماما لحظة ان غادر مع صديقه البوابة الرئيسية في تلك السيارة المتهالكة. قال "ريك" وقد لحظ ما كان يدور بذهنه:

– قلقك على هذه الدراسة لن يعين على إنجازها في وقت أقرب. أما عن الأشياء الأخرى التي تحدث والدك عنها... حسنا. كنت بحاجة إلى شيء صغير سهل الحمل حتى يمكنك اختبار موضوع السباحة الجوية بفعل المغناطيسية. تصنيع سيارة طائرة كان سيكلفك مبالغ باهظة.

– نعم. لكن نموذجا لقطار طائر سيكون أسهل وأصغر وأقل تكلفة.

فقال "ريك":

– ما كان مثل هذا النموذج يستطيع أن يحمل شخصا إلى أعلى.

فقال "توم":

– كانت هذه هي ذريعتي عندما صنعت اللوح.

ثم ابتسم قائلا:

– إنني أتساءل الآن عما إذا كنت أستعرض فقط. على أية حال ذلك اللوح "الركمجي" الطائر يشعرك بقدر كبير من البرودة.

واصلا السير بالسيارة وسط التلال البنية الهادئة لكن الصحراء انتهت عند المجمع التجاري المركزي وبدأت حدود جنوب كاليفورنيا. أطلت عليهما الألوان المبهرجة من جميع الاتجاهات وهما ينضمان إلى المرور مارين

بمحلات الوجبات السريعة وأماكن انتظار السيارات والمراكز التجارية.

تنهد "ريك" قائلا وهو يتامل زحام المرور:

– تصور فقط أنك لو تمكنت من تفصيل نظرية السباحة في الجو بفعل المغناطيسية فسوف نتمكن من الطيران من فوق كل هذا العدد من السيارات.

فقال "توم" مبتسما:

– لو أن هذه النظرية طبقت بنجاح فقد نصطدم باختناقات مرورية جوية.

وصلا إلى منطقة مبان قديمة على طراز مباني الإرساليات. وكان هذا هو الحي الصناعي الأصلي لمنطقة "سنترال هيلز" – قبل غزو منشآت "سويفت" لها بتقنياتها المتميزة– انعطف "ريك" بعيدا عن الطريق الرئيسي قائلا:

– لنتوقف قليلا أمام منزلي حتى نحضر بعض ثياب السباحة.

بعد توقف لم يدم أكثر من دقيقتين أمام منزل آل "كانتويل" استانف الشابان رحلتهما نحو الشاطئ. ومع وجود أميال من ساحل المحيط "الباسيفيكي" للاختيار من بينهما لم تكن كلمة الشاطئ تعني إلا مكانا واحدا هو "لاجونا بيكينا"؛ لأن الخليج الصغير الخارج من المحيط كان يتيح أفضل مكان للسباحة محفوف بأجمل الرمال.

نظر "توم" إلى الشاطئ المزدحم عندما أوقف "ريك" السيارة في رقعة الانتظار ثم قال:

– كيف يمكننا الاهتداء إلى "ساندرا" في وسط هذا الجمهور؟

فقال "ريك":

– حسنا. معي عصفورها الجميل. وقد سهلت شقيقتك المهمة لنا.

ثم مد يده إلى داخل جيبه وأخرج منه علبة في حجم علبة السجائر. ضغط على مفتاح كهربائي بها محركا العلبة إلى الأمام وإلى الخلف حتى انطلق منها صوت أشبه بالأزيز. قال:

– من هنا؟

وقال "توم":

– إنها إحدى أجهزة "سويفت" للاهتداء إلى الأماكن. كيف؟

فقال "ريك" متقدما أمامه:

– أعطتني "ساندرا" إياها. وتحتفظ بالطرف الثاني من الجهاز.

ضحك "توم" قائلا:

– تعيش "ساندرا" بناء على ذلك قصة حب عالية التقنية. علي أن أتذكر هذه الحيلة.

فقال "ريك" غائظا:

– اهتد أولا إلى الصديقة.

شقا طريقهما بصعوبة بين الزحام إلى حيث وجدا حصيرة شاطئ خالية. تعالى صوت الأزيز تدريجيا مع اقتراب "ريك" من حقيبة الشاطئ الخاصة بـ"ساندرا".

جاء صوت أنثوي رقيق من خلفهما:

– هيي "ريك". لم تتوقع منها أن تذهب للسباحة حاملة هذا الجهاز. أليس كذلك؟

التفتا إلى الخلف فرأيا "ماندي كوستر" وعيناها العسليتان تتقدان مرحا. كان واضحا أنها قد خرجت من الماء توا وكانت تزيح شعرها الكستنائي الطويل المبتل إلى الخلف بعيدا عن وجهها، وقد كشف لباس سباحة أحمر اللون عن قوام نحيل ممشوق وسمرة جذابة.

– هيا. سآخذكما إليها.

واستدارت "ماندي" متوجهة نحو الماء مرة أخرى.

ألقى "ريك" بالجهاز الصغير فوق الحصير وهو يقول ضاحكا:

– يكفي هذا القدر من التكنولوجيا.

تبعا "ماندي" إلى الماء ووجدا "ساندرا" و"دان" في العمق. ارتدت "ساندرا" لباس بحر أزرق هيا تباينا جميلا مع شعرها الأشقر الطويل. التفتت عند سماع "ماندي" تنادي:

– هيي "ساندرا". لقد حضر هذان الشابان.

– بوو – "توم" – "توم"! ما الأخبار؟

ونفض "دان كوستر" الماء عن شعره الأسود المتموج الطويل.

فقال "توم":

– سمعت أن فرقة الـ"سكافنجرز" تعزف بنادي "فريدي" اليوم. فرقتك ترتاد الأماكن المهمة في هذه الأيام.

ضرب "دان" على وتر بجيتار خيالي وهو يقول:

– ستكون مناسبة رائعة وسوف تزيد مسؤولياتي.

وفي تلك اللحظة فردت شقراء فاتنة حصير شاطئها بالقرب من الماء فتمتم "دان" قائلا:

– واو.. هذه فتاة ينبغي أن أتعرف عليها.

انطلق من وسط الماء متوجها إلى الفتاة مباشرة:

– هيي يا فتاتي. أمامك أحد أمرين: إما أن تذهب للسباحة وإما أن أدهن هذا الجسد الجميل بزيت السمرة.

ثم أشرق عليها بابتسامة عريضة.

لم يستطع "توم" أن يتصور مدى فتور أعصاب "دان" وكاد ألا يصدق نفسه عندما رأى الفتاة ترفع وجهها إلى صديقه مبتسمة. اقترب منهما قليلا حتى يسمع ما قد يجري بينهما من حوار. سمع الفتاة تقول:

– لقد نسيت خيارا ثالثا. هو أن تذهب للسباحة بمفردك ولا تعود منها أبدا.

ثم أدارت الفتاة ظهرها إلى "دان" الذي اكتفى بهز كتفيه، واللحاق بصديقيه في الماء.

قالت "ساندرا سويفت":

– لا أصدقك يا "دان كوستر".

– من المستحيل أن تتوقعي مني مناقشتك في وجود شقيقك وصديقك.

أمضت "ساندرا" النظر إليه قائلة:

– لا. لا أتوقع منك سوى أن.. تهدأ تماما.

وحركت ذراعيها حيث رشت "دان" بالماء مفتتحة بذلك حربا مائية. أما "ريك" فتبنى أسلوب طاحونة الهواء ناثرا الماء في كل الاتجاهات. وكان "توم" أكثر دهاء. جثا في الماء طاردا الماء من بين كفين متلاصقتين. كان

بوسعه توجيه مجرى مائي منتظم قاتل يصل ارتفاعه إلى عشر أقدام. وهذا ما اكتشفه "دان" لدى توجيهه نحوه. سألته "ماندي":

– كيف تفعل هذا؟

وعندما حاولت تقليده وجهت أول قدر من الماء إلى عينيها. فقال "توم" وهو يتأمل وجه "ماندي" الذي كان يقطر ماء:

– إنه – أووه– يحتاج إلى بعض التدريب.

– سأتمسك بالأسلوب القديم.

والتفتت "ماندي" بعيدا عنه حيث ملأت يدها بالماء لتقذفه، فتنهد "توم" محدثا نفسه بأنها كانت مهتمة به لكنها لم تجد منه التشجيع المناسب.

قال "ريك":

– حسنا. وبما أننا الآن مبتلون جميعا فما رأيكم في قليل من السباحة؟

وسرعان ما تحول الاقتراح إلى سباق يتقدمه "ريك". عادوا بعد ذلك إلى الشاطئ وإلى الحصير حتى يجفوا.

سألت "ساندرا" موجهة حديثها إلى "توم".

– ما أخبار التجربة التي قمت بها هذا الصباح؟

هز كتفيه قائلا:

– حسنا..

فقال "ريك":

– أصيب الإنسان الآلي القائم بعملية الاختبار بجنون مفاجئ، وحاول أن يقذف بـ"توم" إلى الفلك، وهبط "توم" بدون اللوح محطما في هبوطه أحد الأكياس الهوائية.

فقال "توم" متمتما بمرارة:

– أشكرك يا "ريك".

ثم لحظ نظرة اهتمام "ماندي" التي بادرته بقولها:

– لوح "ركمجي" طائر؟

– إنها مجرد تجربة في مجال استخدام المغناطيسية في أغراض السباحة الجوية.

شعر "توم" بأن وجهه يزداد احمرارا. لماذا لا يمكنه أن يتكلم على نحو طبيعي في وجود "ماندي"؟

قال "ريك" موضحا النظرية:

– إنه لوح "ركمجي" من نوعية خاصة تم تصنيعه لكي يطفو فوق كهرومغناطيس عملاق.

وكرر "توم" المحاولة:

– انظري.. أعمل منذ فترة في مجال الموصّلية المفرطة.

فقال "دان" مقاطعا وهو يمرر منشفة فوق شعره:

– الموصّلية المفرطة؟ تعني بذلك أولئك العاملين بقطارات أنفاق طوكيو الذين يدفعون بأعداد زائدة إلى داخل القطارات؟

زمجر "ريك" وهو يجلس فوق الحصير. قال:

– لا مزاح في ذلك يا "دان". "توم" لماذا لا توضح لهم الرؤية؟ لدينا لوحان متبقيان.

فهز "توم" رأسه قائلا:

– لا أعتقد..

لكن "ريك" ابتسم بشغف قائلا:

– لن يكون من حولنا هنا أي إنسان آلي. سنكون أنت وأنا فقط بعيدين عن المجمع أيضا. وسوف يتيح ذلك لك الفرصة لتجربة فرشة الموصّلية المفرطة.

ساله "توم":

– أين سنقوم بها؟

فقالت "ساندرا" مبتهجة:

– هنا! سنقيم حفلا على الشاطئ جنبا إلى جنب مع هذا العرض.

تبادل "ريك" و"ساندرا" النظرات وقد نطقت عيونهما بمعاني الابتهاج بينما قال "توم" محدثا نفسه في صمت بانه إنما يفعل ذلك من قبيل الاستعراض أمامها.

اقتربت "ماندي كوستر" منه واضعة يدا على ذراعه. سالته:

– هل ستطير بحق؟

أوما "توم"، فلم يكن هو ذاته فوق مستوى الاستعراض. قال:

– حسنا لنفعل ذلك.

قالت "ماندي" مطوقة إياه بذراعها:

– إنجاز عظيم يا "سويفت".

أحس "توم" بانه في قمة السعادة حتى تذكر أمر مؤشرات التكاليف. قال:

– آسف. لدي عمل يتطلب الإنجاز بمعملي، لذا ينبغي أن أكتفي بهذا.

أخرجت "ساندرا" مفاتيح سيارتها من جيبها قائلة:

– خذ سيارتي. وسوف أستقل مع "ريك" سيارته في طريق عودتي إلى البيت.

عندما استقل "توم" سيارة "ساندرا" الجديدة تبين أنه سوف يصل إلى المعمل قبل الموعد الذي كان قد حدده لـ"أورب" بوقت طويل. أمسك بهاتف السيارة وطلب مجمع "سويفت" ثم ضغط على الرقم الكودي المتصل بـ"أورب"، جاءه صوت الإنسان الآلي عبر الخط الهاتفي:

– "أورب" هنا.

فأجابه "توم":

– ساعود مبكرا قليلا. توقع وصولي إلى المعمل في غضون نصف الساعة تقريبا. يمكنك عندئذ موافاتي بنتائج تلك الدراسة.

فقال "أورب":

– من المفترض أن تكون الدراسة قد تمت. سوف أقوم بإبلاغها من هنا بمركز الكمبيوتر وأطلب من "روب" طباعتها.

بينما كان "أورب" يتحدث سمع "توم" ضوضاء خافتة في الخلفية. سأل:

– ماذا كان هذا؟

– ماذا؟

– لا شيء يا "أورب". وانهى "توم" المكالمة، قام بتشغيل محرك السيارة وهو يهز رأسه قائلا:

– إنني واثق من أنني كنت أسمع أشياء.

كان "أورب" قد أخبره بأنه كان بمركز الكمبيوتر. لكن "توم" كان واثقا من أنه قد سمع أزيز نقطة تفتيش أمني رفيع المستوى في الخلفية.

كان ذلك مستحيلا؛ لأن أمثال نقاط التفتيش هذه تقع حول أماكن معينة مثل معمل المفرقعات والمتفجرات وليس بمركز المعلومات.

الفصل الرابع

أوقف "توم" سيارته أمام بوابة منشآت "سويفت" وانفجر ضاحكا. قال مبتسما:

– من غير المألوف أن نرى رئيس جهاز الأمن ينقل أعماله إلى البوابة الخارجية. ما الذي حدث يا "هارلان"؟ خسرت رهانا ما؟

– آه. إنني أفعل ذلك مرة بين الحين والآخر حماية لنفسي من الغرور.

وانفرجت شفتا "هارلان أميز" عن ابتسامة رزينة في وجهه شديد السمرة الذي بدا وكأنه قناع من جلد. كان شعره الأبيض وبشرته شديدة التأثر بالجو يوحيان بكبر سنه، لكن مشيته– بذلك القوام النحيل والنشاط الملحوظ والحركة الانسيابية– لم تعطه أكثر من نصف سنه. قال "أميز":

– سمعت عن العرض الذي قمت به هذا الصباح. سيكون هائلا لو لم يتحول إنسانك الآلي إلى كتلة من الأسلاك والخردة.

ثم خفض صوته قائلا:

– أم أنه قد تحول إلى كتلة من الأسلاك والخردة فحسب؟

رمقه "توم" بنظرة جزعة:

– ما الذي يجعلك تقول هذا؟

– أشياء كثيرة: مثل أسلوب إحجامك عن الحديث مثلما فعلت معي الآن. أخذ والدك في الآونة الأخيرة يزيد من أعداد أفراد الأمن بهدوء. فعل ذلك تدريجيا على مدى الأشهر القليلة الماضية، أمدنا بعدد أكبر من الرجال، ومزيد من المعدات.

ثم قطب "أميز" مستطردا:

– تعلم. أعمل عند والدك عندما بدأ هذه الشركة.. مررنا معا بأوقات عصيبة؛ لذلك ،عندما أراه قلقا على أمر ما آخذه مأخذ الجدية القصوى. لهذا أحب أن أكون على علم بما يجري خاصة أنني الشخص المنوط به المسؤولية عن الأمن هنا.

هز "توم" رأسه قائلا:

– أتمنى لو أنه بإمكاني أن أخبرك يا "هارلان". كل ما قلته هذا يعتبر أخبارا جديدة علي.

فقال "أميز":

– حسنا. لم أكن جالسا إلى مكتبي في انتظار أن يخبرني أحد بشيء، قمت بقليل من الاستقصاءات.

– ووجدت شيئا؟

هز "أميز" كتفيه قائلا:

– أشياء كثيرة – ليس لأغلبها علاقة بهذا الضوء الأحمر.

ثم ابتسم مستطردا:

– هل تعلم أن صديقك "ريك" يحصل على بعض العينات المجانية من نماذج "سويفت" الأصلية؟ من المؤسف أن شقيقتك لم تهده جهاز ضبط آلي للمحرك.

ضحك "توم" رغما عنه.

– لقد اكتشفت ذلك اليوم فقط. وربما اخترع مثل هذا الجهاز حتى يمكن "ساندرا" إهداؤه إليه.

– والآن إلى سؤال غير مضحك: من أين يحصل ذلك الغلام الذي بقصر القنابل على تلك الأموال الطائلة التي يبعثرها يمينا ويسارا؟

كان "قصر القنابل" هو اسم التدليل الذي أطلقته الشركة على معمل المتفجرات المشيد على هيئة قلعة، لم تنجح حتى عبقرية السيد "سويفت" في مجال التصميمات من الحفض من كآبتها.

سأل "توم":

– من هو ذاك؟

– "جاريت فراين" معد برامج شاب هناك. يفجرون في هذه الأيام أشياء

في أجهزه الكمبيوتر – عمليات تصويرية كما تعلم. أعتقد أنها أفضل من تفجير السقف. فعل والدك ذلك في أحد الأيام عندما كنا بعد في "ليك كارلويا".

تذكر "توم" عند سماع كلمة أجهزة الكمبيوتر أنه من المفترض أن يكون مشغولا بعمله. قال:

– "هارلان". إنني شغوف بسماع هذه القصة، قد يتاح لي الوقت الكافي لسماعها عندما يأخذ والدي علما بموقفي. إنني مشغول بشيء قد يروق لك تطبيقه بشأن رجال حراستك الليليين أيضا.

فضحك "أميز" قائلا:

– حسنا. تعلم أين تجدني. حتى الخامسة على الأقل.

واصل "توم" القيادة حتى مركز الإدارة ومن هناك توجه إلى معمله. وجد "روب" واقفا عند الباب وفي ذراعيه عدد من الأوراق المطبوعة.

– ما رأيك في قدر من الموسيقى يا "روب"؟ إيقاع سريع يساعدني على الانتهاء من هذا العمل مسرعا.

وبدأت مكبرات الصوت تطلق لحنا آليا إيقاعيا.

تاول "توم" الإنسان الآلي قائمة مدونة بخط اليد:

– "روب" هل يمكنك جمع هذه الأشياء؟ إنني بحاجة إليها هذا المساء. سوف نقوم بتجربة مسائية للوح "الركمجة" على الشاطئ.

أضاءت عينا "روب" ذات الخلية الضوئية بينما كان يلقي نظرة على القائمة. قال:

– الجزء الأكبر من مضمون هذه القائمة متاح هنا. أما عن الباقي – حسنا– لدي الوقت الكافي لتجميعه.

وابتعد.

*****

قضى "توم" ما تبقى من فترة مابعد الظهيرة في أعمال حسابية خاصة بالعمل. عندما دون بعض المقترحات على صحيفة واحدة قال متسائلا:

– هيي "روب" ابن "أورب"؟

رفع الإنسان الآلي رأسه من فوق منضدة العمل التي كان يقوم بتجميع معدة ما عليها. أضاءت عيناه مدة ثانية واحدة ثم انطفأت.

– لايزال بمركز الكمبيوتر على حد اعتقادي. تريدني أن أناديه؟

هز "توم" رأسه:

– لقد انتزعته من العمل الذي كان يقوم به أيا كانت أهميته حتى يساعدني. اتركه ينهي عمله وبعد ذلك نقوم بمراجعة هذه الدراسة وتصحيحها.

واصل "توم" العمل حتى السادسة عندما ربت "روب" كتفه برقة قائلا:

– طلبت مني أن أنبهك عندما..

قاطع حديثه رنين الهاتف وجاء صوت "ريك" من مكبر الصوت:

– خشيت أن تندمج مع تلك الأرقام وتنسى ما خططنا له لهذا المساء. من المفترض أن نبدأ خلال ساعة.

فقال "توم":

– لقد ذكرني "روب" بالموعد الآن.

– هل أنت مستعد إذن؟

ونظر "توم" إلى "روب":

– هل نحن مستعدان؟

مرر الإنسان الآلي ذراعه أعلى كومة المعدات التي كان "توم" قد طلبها قائلا:

– لا أعلم ما إذا كنت مستعدا أم غير ذلك. لكنني أعددت كل ما طلبته مني.

قال "ريك" متضررا وهو يحمل قدرا من الأشياء من معمل "توم" المتحرك إلى الرمال جيدة الدك على الشاطئ:

– هل نحن بحاجة إلى كل هذه الأشياء؟

كان "دان كوستر" قد ساعد بقدر قليل لكنه عاد إلى حيث أوقدت النار والتف حولها الأطفال.

استنشق "ريك" رائحة الطعام الزكية، قال محدثا "توم":

– يا غلام. عندما تخطط شقيقتك لإعداد طعام في الهواء الطلق فإنها لا

تعبث بل تأخذ الأمر مأخذ الجدية.

– أتساءل عما إذا كانت قد أحضرت معها شواية اللقالق.

وقام "توم" بتركيب قطعة للرش بإحدى العلب المحتوية على سائل الموصّلية المفرطة الذي كان قد ابتكره.

– لم أعلم أنك قد أحضرت معك مشواة.. لكن كل ما رأيته معك هي تلك الأشياء.

فضحك "توم" قائلا:

– اذهب وأحضر لنا بعض الطعام. أنا مستعد لتجربة المرشة.

سار بمحاذاة الشاطئ حيث قام بوضع طبقة رقيقة من الموصّلية المفرطة على الرمال.

حضرت "ماندي" مرتدية بنطلونا من الجينز مع سويتر وردي اللون لتنظر ما كان "توم" يفعله. قالت:

– لا أصدق هذا! يبدو الأمر وكأنك تقوم بنثر طنفسة من النجوم فوق الرمال.

تألقت البللورات الكهربائية الصلبة في الظلام من خلال الطبقة الرقيقة العازلة.

تمشت بمحاذاة المسار المتألق بصحبة "توم" وعيناها تتقدان دهشة. تدلى شعرها الكستنائي الطويل في تموجات صغيرة حول كتفيها. قالت:

– إنه ساخن يا "سويفت". أعني ذلك بحق.

فقال "توم" مرددا:

– نعم. إنه ساخن بحق.

رفعت "ماندي" بصرها فتبينت أن "توم" كان ينظر إليها. خفضت رأسها ثانية وأخذت تعبث بسلسلتها الذهبية.

سارا مسافة قصيرة أخرى في محاذاة المسار الذي كان يزداد طولا. قال "توم" محدثا نفسه: هيا! ما الذي كان من الممكن أن يفعله "ريك"؟ أو "دان"؟ لا.. لا أريد أن أخيفها. حرر حلقه في نهاية الأمر ثم قال:

– كل ما أتمناه هو أن تكون لهذا السائل فعالية جيدة كما أن مظهره جيد. هذا هو أول اختبار لنا.

ثم نظر إلى "ماندي" قائلا:

– وإنني سعيد بأنك قد أتيت لتطلعي على هذه الأشياء.

ابتعدت عنه قليلا وهي تقول:

– هل هذا صحيح؟ ظننت أنك ستكون مشغولا جدا بحيث لا ترتبط بالمجموعة – تماما كما اضطررت إلى أن تعود إلى عملك بعد ظهر اليوم.

بماذا يمكنه الإجابة على ذلك؟

– انظري يا "ماندي"! لدي الكثير من الأعمال في الوقت الحالي و..

استدارت "ماندي" وهي تعض على شفتها:

– ليس لديك وقت لأشياء أخرى في حياتك؟

– ما أعنيه هو أنه ليس من السهل أن أفعل جميع الأشياء التي أود أن أفعلها.

قدم "توم" إليها المرشة قائلا:

– تحبين أن تقومي بنثر النجوم بعض الوقت؟

ابتسمت إليه ثم هيأت ملامحها لتبدو في قمة التشكك:

– هل تعني إعدادي لأن أرث نفسي ثانية؟

فقال "توم":

– لا مجال لذلك. لكن هناك احتمال قائم بأن أكون أنا الهدف في هذه المرة.

انتهيا من رش مسار السباق معا في صمت. توجهت "ماندي" إلى حيث كان الموقد عندما عاد "ريك" حاملا بعض الطعام. قال وهو يتناول قطعة من الـ"هامبورجر":

– كيف سارت الأمور إذن؟

– انتهيت من وضع المسار. بعد ذلك نقوم.

– أعني مع "ماندي".

تنهد "توم":

– لا أدري. لم تبد مهتمة جدا في الوقت الحالي. لكن بعد ظهر اليوم...

فقال "توم":

– بعد ظهر اليوم أنت الذي لذت بالفرار منها. لا يتطلب الأمر منك أن تكون عبقريا حتى تفهم أنها قد تكون معتقدة أن لا اهتمام لديك بها.

نظر "توم" إلى صديقه قائلا:

– لست ماهرا جدا في هذا فهو مختلف تماما عن العمل بالمعمل. أقوم بمزج مادتين كيميائيتين وأعلم نوع التفاعل الذي سوف يحدث. لكن لا يمكنني التكهن بما سوف يكون رد فعل الفتاتين.

فقال "ريك":

– حسنا. ليس عليك إلا أن تجرب. كذلك لن أفقد الأمل؛ لأنها أتت على الأقل لكي تلتقي بك.

بدت السعادة على وجه "توم" بينما كان يفض أغلفة اللوحين اللذين كان أحدهما أحمر والآخر أزرق. أخرج "ريك" لوحات التحكم، والخوذتين، وأغطية الركبتين، والكتفين وسترتين باللون الأبيض البراق. قال:

– لا تنس شيئا يا "سويفت" حتى سترتي السباق.

ثم رفع إحداهما عاليا وقال:

– لكن ألم تتمكن من أن تأتي بشيء أقرب إلى أحدث خطوط الأزياء؟ مثل الجلد الأسود مثلا؟ هذه السترة تبدو ضخمة فضلا عن أنها تصل إلى ما تحت حقوي.

فقال "توم":

– إنها من أجل الأمان لا لمحاكاة آخر الصيحات. هناك حلقة صغيرة بجوار الياقة. إذا صادفتك أية ظروف غير متوقعة وأنت على اللوح فاجذبها.

فقال "ريك":

– ثم؟

قال "توم":

– عندئذ يخرج لك شراع ديناميكي يمتلئ بالهواء المضغوط في غضون ثلاث ثوان فيصبح قابلا للتحكم فيه كيفما شئت. قام "روب" بتجميعه على أساس من بعض التخطيطات التي قمت بعملها.

هز "ريك" رأسه قائلا:

– نتمنى ألا نضطر إلى تجربة هذا أيضا.

أتى جمع من الأطفال من عند الموقد ليتفرجوا بإعجاب شديد على المسار البراق. وجاءت "ساندرا" أيضا حاملة طبقا مملوءا بقطع الـ"هامبورجر". قالت وابتسامة مشرقة على وجهها الجميل.

– بعض الزاد لرحلتكما.

أمسك "ريك" بقطعة أخرى وبدأ يأكلها:

– ممم. لذيذ!

سألت "ماندي":

– وأنت يا "توم"؟

– سأتناول واحدة فقط.

ثم نظر إلى "ريك" قائلا:

– ينبغي أن أحافظ على وزني منخفضا في هذا السباق.

ثم ابتسم وكاد "ريك" أن يشرق.

جذب "توم" كبلا– كان قد أوصله بالعربة الصغيرة التي استخدمها كمعمل متنقل– وثبته في المسار مفرط الموصّلية الذي كان قد جف. عندئذ قال:

– سوف نتركه يشحن بينما نستقل نحن لوحينا.

ثبت "ريك" قطع حماية الركبتين والكتفين وارتدى السترة لكنه نظر إلى الخوذة:

– أقدر ضرورة الميكروفون والسماعات لكنني لا أعتقد أننا بحاجة إلى مقدم الخوذة المضلل في الطيران الليلي.

ابتسم "توم" وهو يرتدي جميع معداته قائلا:

– جربه.

وضع "ريك" الخوذة على رأسه وبدأ يقول:

– إنني لا أرى له ضرورة.

لكن ما إن هبط مقدم الخوذة إلى أسفل حتى قال:

– لكنني أرى الآن مدى أهميته!

جذب "توم" مقدم خوذته إلى أسفل وتبدد الظلام من حوله. استطاع أن يرى كل شيء بوضوح لكن كل شيء أمامه بدا وكأنه منظر طبيعي في كوكب آخر. كان الشاطئ والتلال من حوله باللون الأحمر والناس من حوله يبدون ببريق خافت. كما صبغ شريط باللون المبهر في الجو جهة الغرب حيث كانت الشمس قد غربت. أما لهب الموقد فكان خاطفا للبصر.

صاح "ريك" مبتهجا:

– رؤية ليلية!

وقال "توم":

– عدسة ياقوتية حمراء يمكنها بالفعل قراءة الموجات الحرارية، فكلما ارتفعت درجة حرارة الشيء يكون الضوء المحيط به أكثر إبهارا. أقوم حاليا بتصميم نظارات لفريق الأمن العامل تحت رئاسة "هارلان أميز".

– عظيم!

وحمل "ريك" أحد اللوحين وبدأ يتوجه إلى المسار قائلا:

– حسنا.. إنني على استعداد للانطلاق.

فقال "توم" محذرا:

– هذه الطبقة التي قمت برشها ليست في مثل قوة المسار الآخر. ربما لن نرتفع أكثر من قدمين. هذا إذا تمكنا من الطفو أساسا.

فقال "ريك" وهو يضع قدميه بداخل طوقي القدمين باللوح:

– وسيلة وحيدة لأن نكتشف ذلك.

قام "توم" باختبار وصلة اللاسلكي مع "ريك" ومع شقيقته التي وقفت عند لوح التحكم بالمعمل المتنقل.

قال متحدثا في ميكروفونه:

– "ساندرا" هل كل شيء جاهز؟

فقالت:

– يبدو على ما يرام من هنا. سوف أحركه باستخدام التحكم عن بعد إذا طرأ شيء ما.

– حسنا إذن.

ووضع "توم" قدميه في طوقيهما قائلا:

– هيا بنا!

حرك "توم" و"ريك" جهازي القيادة والارتفاع فطفا اللوحان في الهواء وسط تعجب الجميع ولهثات الأطفال. سمع "توم" صيحة "دان كوستر" هائل!

سأل "توم" رفيقه "ريك":

– كيف تشعر به؟

وأجابه صديقه:

– مترجح قليلا.

– لابد أن الرش ليس مستويا تماما، لهذا السبب يكون المجال المغناطيسي غير مستو أيضا.

لم يعر "توم" هذا الإحساس أدنى أهمية رغم أنه أحس وكأنه يتأرجح فوق سطح الماء. قال:

– هيا بنا نطوف حول المسار مرة حتى يمكننا الإحساس بما نفعل.

وأجابه "ريك":

– حسنا. ثم عندما نطير فوق "ساندرا" نزيد سرعتنا.

امتدت يده إلى جهاز التحكم في السرعة وحذا "توم" حذوه. كانت حركتهما أقرب إلى التقطع منها إلى التواصل.، لكن أمكنهما التعامل مع هذا الوضع خاصة وأن زيادة السرعة ساعدتهما على ذلك.

عندما اقتربا من "ساندرا" قام "ريك" بزيادة السرعة إلى حد مذهل متخطيا "توم" الذي اضطر إلى الإسراع أيضا حتى يتمكن من اللحاق به.

سأل "ريك":

– ما رأيك في سباق قصير؟

لم يتمكن "توم" من رؤية وجه "ريك" من خلال مقدم الخوذة لكنه كان يعلم أن صديقه كان يبتسم نحوه متحديا.

– لا بأس لكن اجعل السرعة دون السبعين–هيي!

وانطلق "ريك" مسرعا مرة أخرى و"توم" يسرع في عقبيه، وقد أضفت خشونة الطيران على السباق متعة خاصة. فبدلا من الطفو السهل أحس "توم" وكأنه على متن موجة طاقة عملاقة وشيك السقوط من فوقها طوال

الوقت، اشتدت مقاومة الريح له عندما زاد من سرعته مرة أخرى.

انحنى "ريك" وكان على بعد قصير منه ليخفض مقاومة الهواء، وربض "توم" بقدر أكبر حتى يخفض من مقاومة الرياح. مرا بمجموعة المشاهدين مسرعين. ترامى صوت "ساندرا" في سماعات الأذنين:

– هيي يا شباب. سرعتكما تُجاوز التسعين!

تحرك "توم" ليخفض سرعة لوحه، لكن "ريك" واصل طيرانه السريع بل وزاد من سرعته أيضا. وفجأة بدآ يرتفعان إلى أعلى ويحرزان ارتفاعا بمعدلات مذهلة. صاح "توم" وهو يتعامل مع أجهزته:

– ما الذي..

وجاءه صوت "ساندرا" فزعا:

– لا استجابة من جانبكما لجهاز التحكم عن بعد!

وصاح "ريك":

– "توم" – لقد خرجنا عن المسار!

استمر طيرانهما السريع وقد وقعا تحت سيطرة مجال مغناطيسي آخر. قال "توم":

– وقت الهبوط بالمظلات.

تخلص من طوقي قدميه وأمسك بالحلقة التي بياقة سترته وجذبها فاحس بالشراع يمتلئ بالهواء وينتفخ؛ قام بتوجيهه بسهولة حتى هبط به فوق الشاطئ.

لكن عندما نظر من حوله بحثا عن شراع "توم" رآه لايزال رابضا فوق لوحه. فقال "توم" له:

– ناهيك عن هذا السباق الآن. اترك اللوح واهبط!

فقال "ريك" بصوت جزع:

– لا.. لا يمكنني! طوقا قدمي ملتصقان.

أحس "توم" وكان ضربة بقبضة محكمة باردة قد سددت إلى معدته. راقب صديقه يبتعد عن المجال المغناطيسي ويبدأ في الهُوي إلى الأرض. صاح:

– "ريك"!

وجاء شكل أسود يهمس من الجو. تعرف "توم" من خلال منظار خوذته على شكل الطائرة المروحية المهاجمة، التي طليت وعدلت لمهمة تجسس.

انقضت الطائرة المروحية كصقر مفترس على "ريك" ولوحه، خرجت منها شبكة لاصطياد كليهما في الهواء. وبينما راقب "توم" المشهد غيَّم ذلك الدخيل الأسود مساره متجها إلى أعلى وإلى الشرق جاذبا خلفه صديقه "ريك" بداخل الشبكة.

الفصل الخامس

نهض "توم" في الحال وأخذ يجري. تخلص من شراعه قاذفا به خلفه بينما اتجه مسرعا إلى المعمل المتنقل، عند مروره بـ"ساندرا" رآها تبكي. سالته:

– أين "ريك"؟ وما الذي حدث له؟

– اختطف.

نظرت "ساندرا" إليه جزعة:

– اختطف؟ كيف... من؟

– السؤال المهم الآن هو "إلى اين"؟

وأسرع "توم" إلى الباب الخلفي للعربة. ضغط زر القُوى المركب بإحدى قطع المعدات الموجودة بالداخل، فاضاءت شاشة صغيرة فظهرت عليها صورة ضوئية خضراء سريعة الحركة.

– لنر ما إذا كان يمكننا تعقبهم بالرادار.

بدأت تلك الصورة تهتز وهما ينظران إليها. قال "توم" حزينا:

– لديهم أجهزة تجسس عالية الفعالية على متن تلك الطائرة تضيع الإشارة منا.

سالته "ساندرا":

– ماذا سنفعل؟

أمسك "توم" بالهاتف المحمول وطلب رقما ما. قال:

www.elromancia.com

– أحاول الاتصال برئاسة القوات الجوية.

من المفترض أن تتمكن القوات الجوية من إحاطتنا علما بوجهة "ريك".

أجفل "توم" وهو يضغط على الأزرار على نحو متواصل:

– هذه الأرقام الكودية العقيمة الخاصة بأجهزة الأمن – آه– هاهو!

ظهرت على الشاشة التي أمامهما صورة أكثر وضوحا عندما بدأ جهاز الرادار الحكومي تغذيتها بالمعلومات.

قالت "ساندرا" وقد شحب وجهها تماما:

– توجهوا شرقا– إلى "سيرانيفادا" راسا. لو أنهم هبطوا في مكان ما في هذه الجبال فسوف نجد صعوبة في الاهتداء إليهم.

التفت "توم" إلى شقيقته قائلا:

– خذي هاتف سيارتك واتصلي بأبي. أخبريه بما حدث؛ يمكنه أن يبدأ على الفور تنظيم فريق إنقاذ. ومن ناحية أخرى لن تضيرنا محاولة أخرى للعثور على تلك الطائرة المروحية.

سببت أجهزة التجسس – التي زودت بها تلك الطائرة المروحية لأجهزة الدفاع الجوي وآلياتها– متاعب جسيمة. راقب "توم" الصورة الرادارية تتشوش وتضمحل مرة أخرى.

أطل "دان كوستر" برأسه داخل القسم الخلفي من العربة قائلا بنبرة جادة:

– "توم" هل هناك ما يمكنني أنا و"ماندي" أن نقوم به؟

فقال "توم":

– نظما فريق بحث. لابد أن هؤلاء المختطفين قد تمكنوا– بشكل أو بآخر من وضع كهرومغناطيس بالغ القوة في مكان ما عند نهاية مسار سباقنا. مغناطيس مضاد فقط هو الذي يمكنه أن يجعلنا ننطلق في الهواء عاليا كما حدث. قد يكون هناك بين تلك الصخور التي هناك عند...

وقاطعه صوت انفجار مدو قريب. نظر "دان" في اتجاه الصوت قائلا:

– جاء من تلك الصخور التي كنت تتحدث عنها حالا.

تنهد "توم" قائلا:

– وفجروا الدليل.

فقال "دان":

– حسنا. لا نعلم ما إذا كان هدفهم يشمل هذا التفجير.

ثم نظر إلى "ماندي" قائلا:

– هيا بنا نبحث عن قطع الحطام.

وعادت "ساندرا سويفت" إلى الظهور عند الباب المفتوح وقد سبحت مقلتاها في دموع لم تذرف. قالت:

– أبي أيضا على الخط مع رئاسة القوات الجوية. قال: إنهم فقدوا أثر الطائرة المروحية!

لم يكن "توم" بحاجة إلى أن يسمع هذا الخبر السيء منها إذ كان ينظر إلى شاشة الرادار بمرارة مراقبا الصورة تتشوش تماما ثم تختفي.

– ربما أنهم قد هبطوا إلى الأرض. وأصبحت لدينا على الأقل فكرة معقولة عن أين نبحث حتى لو كان هذا يعني مساحة شاسعة.

غادر القسم الخلفي للعربة قائلا:

– ليس بإمكاننا مساعدة "ريك" من هذا المكان بعد الآن. لنعد إلى المجمع.

نادى على "دان" و"ماندي" فأتيا مسرعين إليه يحملان بعض أجزاء المعدة المتفجرة. قال "دان":

– الأجزاء التي هناك تكاد تكون مسحوقة. هذه أكبر ما فيها.

فقال "توم":

– ألق بها في الجزء الخلفي من العربة. سوف نمضي من هنا.

قالت "ماندي" مشيرة إلى جهاز التحكم وطبقة المسار:

– وماذا عن أدواتك الأخرى؟ ولوحك أيضا في مكان ما هناك.

فقال "توم":

– اتركي كل شيء. سوف نعود إليه فيما بعد. أما الآن فأريد أن أرى ما يعتزم أبي أن يفعله.

انضم موكب السيارات الصغير الذي سار خلف عربة "توم" إلى موكب أكبر حجما عند بوابات مجمع منشآت "سويفت"، أصبح المكان كله عبارة عن خلية نحل من النشاط والحركة؛ إذ أخذت السيارات والشاحنات

تدخل إليها وتغادرها .

وقف "هارلان أميز" عند البوابة العملاقة مع عدد من رجال قوة الأمن. عندما توقف "توم" أمام البوابة . قال "هارلان" له:

– لا أحد يدخل بدون تصريح خاص.

فأجابه "توم":

– جميعهم شهود عيان لعملية اختطاف "ريك".

فأومأ "أميز" قائلا:

– كما قال الرجل "لقد بدأت اللعبة" ويبدو لي أن فريقنا يمكنه الاستفادة من كل المساعدة التي يمكنه الحصول عليها.

ثم لوح إلى "توم" والآخرين قائلا:

– والدك في انتظار أن يلتقي بك.

توجهوا إلى مبنى الإدارة حيث تركوا سياراتهم وصعدوا إلى مكتب السيد "سويفت". كان والد "توم" جالسا خلف مكتبه يتعامل مع حوالي أربع مكالمات هاتفية في ذات الوقت.

كان على أحد جدران حجرة المكتبة صورة مباشرة منقولة هوائيا لجبال "سيرانيفادا". ظل "توم" يراقب المشهد بتركز حتى لم يبق على الجدار سوى البقعة التي كانت الطائرة المروحية قد اختفت فيها.

أكمل السيد "سويفت" عمله ثم التفت واجما إلى الأولاد. قال:

– أريد أن أسمع منكم تفاصيل ما حدث الليلة.

بدأ "توم" بالحديث شارحا ما تم لدى تجربة مرشة الموصلية المفرطة ولوحي "الركمجة". بينما تدخل الآخرون موضحين بعض التفاصيل الدقيقة حتى إقلاع اللوحين إلى الفضاء. قام "توم" بعد ذلك بوصف الطيارة المروحية خاتما أقواله بعبارة:

– أعتقد أن شخصا ما قد قام بوضع كهرومغناطيس قوي بالقرب من المكان الذي كنا نجري فيه تجربتنا. هذا ما جعل اللوحين يخرجان عن نطاق التحكم.

قال "دان" مشيرا إلى العلبة الكرتونية التي كان يحملها تحت إبطه:

– كان هناك شيء ما موضوعا بين بعض الصخور عند نهاية المسار لكنه

انفجر. معنا بعض قطع حطامه هنا.

فقال السيد "سويفت" وقد بدأ بالفعل يضغط على أحد الأزرار بالهاتف:

– سأكلف رجالنا بالمعمل بفحصها وإفادتنا بما عسى أن يهتدوا إليه منها.

التفت بعد ذلك إلى "توم" وقد بدا التوتر واضحا على ملامحه:

– اتصل بأسرة "كانتويل" إذا حدث لـ"ريك" شيء ما..

فقال "توم" منهيا عبارته وسط نظرات جميع من حوله:

– سأكون أنا المسؤول عن ذلك. كنت أعلم أن شيئا ما غريبا قد أصاب اللوحين وما كان ينبغي لي قط إخراجهما من المجمع للاختبار. لكنني ظننت أن أحدا لن يكون على علم بما نجريه.

قال السيد "سويفت" وهو يستند إلى الخلف فوق مقعده:

– إما أن شخصا ما كان يتبعك وإما أن لدينا هنا –في هذا المجمع– جاسوسا عالي المهارة وأعلم بالفعل الإجابة الصحيحة على هذا الاحتمال. ليس ما حدث نتيجة لخطأ من جانبك يا "توم"، لكنه من جانبي أنا. كان من الواجب علي أن أحذركما أنت و"ساندرا" وأحيطكما علما بالأشياء التي كانت تجري في الآونة الأخيرة.

سألته "ساندرا":

– مثل ماذا؟

فقال السيد "سويفت":

– لنبدأ بالتخريب الصناعي المتعمد: منذ شهرين تقريبا أجريت بحثا باستعمال الكمبيوتر استهدفت منه الاهتداء إلى أفضل مستخدمين يمكنني تعيينهما لرئاسة مشروعين جديدين. لكن– وقبل حتى أن أتحدث مع هذين المستخدمين– حصل كلاهما على عملين جديدين وبطريقة خفية تثير الدهشة واختفيا. بدا الأمر وكأن شخصا ما قد اكتشف ما نحن بصدده ثم تدخل لإحباط خطتنا. وعندما تفجرت أكبر كمية من "السيلين" في البلاد محطمة مشروعا آخر تبينت أن هذا ما كان يجري على وجه التحديد.

ثم هز السيد "سويفت" رأسه مستطردا:

– لحسن الحظ أن الجاسوس قد أرسل "معلومات" فقط عما نجري إنتاجه ولم يتمكن من تهريب نماذج عمل فعلية أو نماذج أصلية للمنتجات إلى خارج المجمع. لكننا لم نتمكن من الاهتداء إلى هذا الشخص.

قال "توم":

– هذا هو السبب إذن في تقويتك الحريصة لجهاز الأمن.

رفع السيد "سويفت" بصره دهشا؛ فقال "توم" موضحا:

– ذكر "هارلان أميز" لي ذلك اليوم. كان يريد أن يعرف متي السبب في ذلك. هو أيضا من جانبه كان يقوم ببعض الاستقصاءات. يبدو أن مستخدما ما بقصر القنابل ينفق ببذخ من أموال مجهولة المصدر.

سألت "ساندرا":

– ما اسم هذا المستخدم؟

وقال "توم":

– "جاريت فراين" يعمل بإدارة التصوير بالكمبيوتر.

قالت "ساندرا" متوجهة إلى الباب:

– سوف أذهب وأفتش مكتب "فراين". مادام أنه على غير علم بأننا نشك فيه. قد نجد بمكتبه ما يدلنا على الجهة التي يعمل لحسابها– وإلى أين اختطف "ريك".

كان أملا زائفا لكن التصميم الذي ارتسمت علاماته على وجهها لم يشجع "توم" أو والده على الاعتراض. غادرت "ساندرا" الحجرة.

قال "دان":

– ربما من الواجب أن تراقب ذلك الشاب "فراين" عن قرب.

وقالت "ماندي":

– ستكون هذه المهمة من اختصاصي أنا؛ جئت إلى هذه المدينة حديثا ولن يمكنه التعرف علي.

وعندما بدا "توم" وكأنه على وشك الاعتراض. قالت:

– لا تقلق. لن أقبض عليه أو أفعل به شيئا كهذا، سوف أحاول أن أعرف أين هو وأتصل بك هاتفيا وأخبرك.

ضغط السيد "سويفت" على بعض مفاتيح اللوحة التي فوق مكتبه وظهر سجل "فراين" الوظيفي علي جدار آخر من جدران الحجرة. تأمل "توم" الصورة المنقولة بالكمبيوتر لوجه "فراين". بدا ذلك الوجه مألوفا له.

عاد ينظر من جديد إلى وجه "فراين" الشاب الوسيم وإلى شعره الأسود الفاحم ثم قال:

– انتظروني لحظة. كان في حقل التجارب بعد ظهر اليوم واقفا بجوار أكياس الهواء عندما بدأنا التجربة، "ريك" وأنا.

وقف "توم" أمام الصورة مقطبا.

كان يرتدي معطف معمل وتكلم معي أيضا. لكن مادام يعمل بالتصوير بالكمبيوتر فما الذي كان يفعله هناك؟

قالت "ماندي":

– بينما تحاولون الاهتداء إلى الإجابات ساحاول أنا الاهتداء إلى مكانه.

ثم تقدمت من الصورة التي فوق الجدار ودرستها جيدا قبل أن تغادر المكتب لتستقل المصعد بالخارج.

صاح "توم" من خلفها:

– كوني حذرة.

قال السيد "سويفت":

– لدي عمل لك يا "توم" وربما يتمكن أصدقاؤك من معاونتك فيه. سوف نخرج الطائرة الـ"روفر" من المخزن حتى نخرج للبحث عن "ريك". أريدك أن تشرف على تجهيزها. أريد لها أن تكون في الهواء محلقة فوق "سيرانيفا دا" مع مطلع فجر غد...

قطع حديثه رنين الهاتف. التقط السيد "سويفت" السماعة:

– ماذا؟ آه. "نورد ستروم". هل القيت نظرة على ذلك الحطام الذي أرسلته إلى المعمل؟ ماذا وجدت؟

أصغى والد "توم" لحظة واتسعت عيناه دهشة. ضغط زر مكبر الصوت الملحق بالهاتف قائلا:

– هلا كررت ذلك من فضلك؟

وملأ صوت "نورد ستروم" الحجرة:

– كما توقعت يا سيدي.. هذه الأجزاء خاصة بكهرومغناطيس. لكن الشيء الغريب في الأمر هو المادة التي صنع منها هذا المغناطيس. تبدو قطعة قديمة الطراز من معدات منشآت "سويفت".

– شكرا لك يا "نورد ستروم". واصل أبحاثك وأخطرني بأي شيء آخر تعثر عليه.

أنهى السيد "سويفت" المكالمة ثم قال مخاطبا من معه بالمكتب.

– هذا الكشف يقربنا أكثر فأكثر من الهدف.

اهتزت حجرة المكتب فجأة بقوة كانت كافية لأن تهشم زجاج النوافذ وتقذف بـ"دان" فوق إحدى ركبتيه. سأل:

– ما الذي يجري؟ أهو زلزال؟

– انفجار.

وانطلق والد "توم" إلى النافذة الزجاجية العريضة وشحب وجهه تماما.

– انفجار في "قصر القنابل"!

الفصل السادس

انتقل والد "توم" من أمام النافذة إلى باب الحجرة بقفزة واحدة مثل قذيفة من فوهة مدفع وهو يقول:

– كانت "ساندرا" متوجهة إلى هناك. قد تكون بمكتب "فراين" الآن.

كانت أجهزة الهاتف على مكتبه تدق وتومض في شكل أشبه بأحد العروض الضوئية. تجاهلها السيد "سويفت" كلية وانطلق إلى خارج باب حجرة المكتب. قال محدثا سكرتيرته الخصوصية:

– إنني متوجه إلى "قصر القنابل" إذا أراد أحد أن يبلغني بشيء بشأن ما حدث يمكنه الاتصال بي هناك.

تبع "دان" السيد "سويفت" أما "توم" فتأخر قليلا حيث أمسك بأحد الهواتف التي كانت فوق مكتب السكرتيرة. سأله السيد "سويفت" وهو يلتفت إلى الخلف أمام المصعد:

– ماذا تفعل يا "توم"؟

أجابه "توم" بينما كان يطلب رقما ما:

– أحاول الحصول على مزيد من المساعدات.

ثم قال بعدما طلب الرقم:

– قابلني بقاعة الاستقبال على الفور.

عندما وصلوا إلى الطابق الأرضي علم "سويفت" و"دان" من كان "توم" يطلبه فقد وقف "روب" ببريقه اللافت للأنظار بجوار مكتب الاستقبال. نظر الحارس الجالس خلف المكتب إلى الإنسان الآلي وقد أصابه قدر من الرعب. وعندما رأى السيد "سويفت" قال:

– أووه يا سيد "سويفت" من المفترض أن تكون السيارة هنا في غضون لحظة..

فقال "توم":

– لا داعي لها.. معي عربة مقفلة بالخارج.

دخلوا العربة منطلقين على الفور على الطريق المؤدي إلى "قصر القنابل". كان عدد من سيارات الإطفاء وسيارات الإسعاف والإنقاذ قد وصلت إلى الموقع بالفعل كما كان رجال الأمن يحاولون إخلاء المنطقة من عمال الوردية الليلية. صاح حارس شاب في "توم":

– عد إلى حيث جئت. أفسح المكان للسيارات الأكثر أهمية!

وما إن وقع بصره على الجالس على المقعد المجاور حتى كاد أن يبتلع صفارته قائلا:

– السيد "سويفت"!

وسرعان ما أفسح الحارس طريقا لهم، مالبثوا أن أصبحوا على الخطوط الأمامية لمعركة التحكم في الدمار. لم يصبح "قصر القنابل" أشبه بقلعة بعد. فقد انهار الطابقان العلويان على الأقل وامتد صدع قبيح عبر الواجهة الخرسانية للمبنى. قال "هارلان أميز" محدثا السيد "سويفت":

– لحسن الحظ أن أحدا لم يكن بالداخل في هذه الساعة من الليل.

فقال السيد "سويفت" بصوت أجوف:

– لدي من الأسباب ما يؤكد لي أن هناك شخصا ما بالداخل. ابنتي كانت في طريقها إلى مكتب "جاريت فراين".

اتجهت عينا "أميز" إلى الطابقين العلويين المحطمين من المبنى ثم قال:

– إنه في الطابق الثالث من هنا في اتجاه الواجهة. قد يكون...

بدا التصميم واضحا على وجه السيد "سويفت" عندما قاطعه بقوله:

– أحضر لي خريطة هذا الطابق فأنا متوجه إلى داخله.

نظر "أميز" إلى وجه والد "توم" لكنه كان أكثر حكمة من أن يجادله في ظروف كهذه. كان كل شيء واضحا تماما.. ويشير إلى أن السيد "سويفت" كان على استعداد لأن يضحي بحياته في سبيل إنقاذ ابنته.

– حسنا يا سيدي. لكنني سوف أدخل معك.

فقال "توم":

– وأنا أيضا.

فسأل "دان":

– تعتقد أنه يمكنني ألا اشارككم هذه المخاطرة؟

فقال "روب":

– قد تحتاجون إلى من يقوم برفع الأشياء الثقيلة.

وفي غضون لحظات حضر أحد رجال "أميز" ومعه خريطة للمبنى. وقال "أميز" وهو يشير إلى الزاوية القريبة من زوايا المبنى على الرسم التخطيطي:

– أفضل ما يمكننا عمله هو الصعود على هذا الدرج المخصص للإنقاذ في وقت حدوث الحرائق. من المفترض أنه لم يتأثر بهذا الصدع كما أنه أبعد ما يكون عن موقع المعامل.

التقط الرجل نفسا عميقا ثم استطرد يقول:

– هذا هو موقع الحريق. لا يسعنا سوى أن نأمل في ألا يحدث انفجار آخر.

– حسنا. هيا بنا. ونظر السيد "سويفت" إلى الخريطة طويلا بحيث درس موقع مكتب "فراين". تبع "توم" و"دان" الرجل الأكبر سنا إلى داخل المبنى حاملين معهما فؤوسا ومناشير كهربائية. ودخل "روب" بعد الجميع.

سلك فريق الإنقاذ الممر الرئيسي لـ"قصر القنابل" ومالبثوا أن بدأوا يسعلون ويشعرون بالاختناق. كان الهواء بداخل المبنى ساخنا وكان لسحب الدخان المتصاعدة من النار رائحة المواد الكيميائية المختلطة برائحة

الحريق.

قال السيد "سويفت":

– الكمامات.

ولم يتوقف حتى وهو يرتدي هذا القناع الواقي.

رأى "توم" مدى أسى والده. فقد غطى القناع وجه السيد "سويفت" لكن عينيه نطقتا بمدى خوفه على "ساندرا". لم يكن توم قد رأى والده يصعد أربع مجموعات من الدرج بمثل هذه السرعة من قبل.

عندما توجه السيد "سويفت" ليفتح باب سلم الإنقاذ لبيت درج الطابق الخامس أمسك "توم" بذراعه قائلا وهو يشير إلى صدع خطير بالجدار أعلى الباب:

– أبي. أعتقد أنه من الأنسب أن يقوم "روب" بهذا العمل.

أومأ السيد "سويفت" موافقته وتراجع فريق الإنقاذ إلى المنبسط الأدنى بينما توجه "روب" إلى الباب يحاول أن يفتحه. جاءهم صوت "روب":

– يبدو أنه محشور جدا. هووا!

وانهمر الحطام فوق الدرج. سار "توم" والآخرون شبه ملتصقين بالجدار ثم نادى قائلا:

– "روب"! هل أنت بخير؟

ساد الصمت لحظة ثم سمع الجميع صوت حركة حطام خرج من بينه "روب" مغطى تماما بالغبار والأتربة ليلحق بهم على الدرج محدثا السيد "سويفت" وهو ينفض الغبار عن نفسه ليكشف عن إصابة جديدة تماما برأسه:

– كان قرارا حكيما أن أقوم أنا بفتح هذا الباب بدلا منك يا سيدي. السقف منهار تماما في هذا الجزء.

توجه والد "توم" على الفور إلى باب الطابق الرابع قائلا:

– سوف نخترق هذا الطابق إلى بيت درج آخر. أي بيوت الدرج أقرب؟

قاد "هارلان أميز" الطريق عبر ذلك الطابق الذي كاد ألا يكون قد لحق به أي قدر من الدمار. سأل "توم" أثناء السير:

– هل لديك أدنى فكرة عما قد سبب هذا الانفجار؟

تنهد "أميز" قائلا:

– في مبنى مملوء بالمفرقعات لك أن تفترض أي شيء. لكن المؤشرات تجزم بأنه كان هناك أكثر من قنبلة واحدة وإلا لما تحطمت الطوابق العلوية بالإضافة إلى الحريق الذي شب بالطوابق الدنيا.

فقال "توم":

– ربما أن الحريق قد أشعل كي يحول دون صعود أحد إلى الطوابق العليا. وبهذا يمكن للمبنى كله أن يدمر.

بلغوا مجموعة الدرجات الجديدة وأرسلوا "روب" لتجربة فتح الباب فعاد يخبرهما بأن لا معوقات في الطريق.

كان من الغريب أنهم عندما مروا من خلال باب الإنقاذ بدا ذلك الجزء من الطابق الخامس وكأنه لم يمس بأي ضرر على الإطلاق. ومع ذلك لحظ "توم" وجود صدوع بالسقف مع صوت أشبه بصوت الطحن متراكم من أعلى. قال:

– من الأفضل أن ننتقل من هنا.

تقدم "هارلان أميز" المجموعة في ممرين ثم توقف قائلا:

– مكتب "فراين" في منتصف المسافة إلى هناك تقريبا.

وأشار بأصبعه إلى موقع معين.

بدا الطرف البعيد من الممر وكأن عملاقا قد أخذ يضرب بقوة على السقف فأسقط كل مكوناته إلى الأرض. قال السيد "سويفت" بنبرة خافتة:

– حسنا. عرفنا الآن سبب عدم إمكان قدومنا من الاتجاه المضاد.

ساروا في ذلك الممر الفسيح منتشرين كما لو كان ذلك تحسبا للإثقال على أي قسم من الأرضية. قال السيد "سويفت":

– خمسمائة وثلاثون. خمسمائة واثنان وثلاثون– ها هو. خمسمائة وأربعة وثلاثون.

ثم التقط السيد "سويفت" نفسا عميقا قبل أن يفتح الباب. كانت حجرة مكتب "فراين" عند حافة المنطقة المنهارة مباشرة. كان أحد الجدران قد اختفى على هيئة كومة حطام ومال السقف بزاوية مفزعة. سقط عمود

من الصلب فوق أحد المكاتب وتحت ذلك المكتب رأى "توم" ساقا آدمية ساكنة تماما.

انقبضت معدته بشدة وهو يجثو على إحدى ركبتيه خائفا مما هو موشك أن يراه. تنهد قائلا:

– الحال أفضل مما توقعت. إنها في تجويف خال تحت هذا المكان.

لكن مقدم المكتب منخفض جدا بدرجة لا تسمح بجذبها من تحته. فقال "دان" متأهبا لاستخدام منشاره:

– لا مشكلة.

فصاح "توم":

– لا. لا يمكننا قطع المكتب لأنه الشيء الوحيد الذي يبعد هذا العمود عن "ساندرا".

تخلخلت أعمدة السقف من فوقهم بأصوات عالية بينما هبط مزيد من الحطام بضوضاء عميقة مكتومة.

قال السيد "سويفت" بنبرة شديدة التوتر:

– ينبغي أن نرفع المكتب و"ساندرا" على الفور.

فقال "روب" متخذا وضع العمل:

– سأتولى أنا أمر هذا العمود.

أمسك "توم" و"دان" بحافتي المكتب بينما انحنى السيد "سويفت" و"أميز" إلى أسفل حيث أمسكا بساق "ساندرا" وذراعها. قال السيد "سويفت":

– حسنا عند ثلاثة. واحد. اثنان الآن!

رفع "روب" نفسه إلى أعلى رافعا العمود معه. ورفع "دان" و"توم" المكتب بينما جذب السيد "سويفت" و"هارلان أميز" "ساندرا" إلى الخارج من تحت العمود. ضم السيد "سويفت" ابنته بين ذراعيه وعاد الجميع إلى الممر بينما صاح "توم" قائلا:

– اتركه يسقط يا "روب".

ترك الإنسان الآلي العمود متراجعا إلى الخلف. وبجلبة عظيمة هوى الحطام إلى الثغرة التي كانت "ساندرا" ترقد فيها منذ ثوان معدودة.

اهتز المبنى بأكمله بينما أسرع الرجلان الأكبران في السن عبر الرواق يحملان "ساندرا" باسلوب رجال الإطفاء. تدلى رأسها نحو الخلف وبدا وجهها شاحبا على مثل شحوب الموت من تحت طبقة غبار الطلاء.. كانت لاتزال تتنفس مع ذلك وكان هذا هو أهم شيء في تلك اللحظة.

أسرعا إلى الطابق الأول سالكين درج الإنقاذ فاصطدما بدخان كثيف جدا إذ كان هذا الدرج أقرب إلى المعامل من تلك التي استخدموها في الصعود. قال السيد "سويفت":

– لنخرج من هذا المكان.

سأل "روب" مشيرا إلى أحد الممرات:

– من هنا؟

– لا. هذا الممر الجانبي أسرع.

وركل "هارلان" زوجا من الأبواب المترجحة ففتحه ليكشف عن وجود ممر آخر مليء بالدخان الكثيف الضارب إلى الاخضرار. قال "أميز".

– لا يبدو مشجعا جدا لكنه يؤدي إلى مخرج جانبي بعد حوالي عشرين متراً.

دخل هو والسيد "سويفت" معا إلى عمق الدخان حاملين "ساندرا" يتبعهما "توم" و"دان". وقع بصر "توم" فجاة على شيء يتحرك على البعد أمامهم:

– هيي – هناك...

لم تتح له فرصة إكمال جملته. برز قضيب حديدي تدلى متأرجحا ليضرب كتف "هارلان" بشدة. سقط "هارلان" والسيد "سويفت" و"ساندرا" على الأرض.

الفصل السابع

ترك "هارلان أميز" "ساندرا" وأخرج مسدسه من قرابه. كان من الغريب أن المهاجم المجهول استطاع أن يرى من خلال سحب الدخان المترامية. وكان باستطاعة المهاجم سرعة الحركة أيضا. عندما رفع رئيس الأمن مسدسه

ضرب المهاجم مرة أخرى فاسقط السلاح الناري من يد "هارلان".

طار سلاح فريق الإنقاذ الوحيد إلى داخل الدخان الكثيف ليسقط بجلبة في مكان ما من الممر.

ولم يكن هذا هو المشكلة الوحيدة. لأنه بدون كمامة كانت "ساندرا" تلهث طلبا للهواء النقي وجسدها كله يهتز بسعال خانق. صاح السيد "سويفت" قائلا:

– ساعدوني على حملها بعيدا عن هنا!

خف "توم" لمعاونة والده حيث قام بمساعدة "هارلان" بحمل الفتاة شبه فاقدة الوعي عائدين بها إلى حيث كان البابان المترجحان بينما وقف "دان" للحراسة من المهاجم.

قام بتشغيل منشاره الكهربائي وهو يصيح:

– ارجع أيها الجبان وإلا شطرتك إلى نصفين!

أصدر المنشار طنينا مفزعا بينما كان "دان" يلوح به عشوائيا في الظلام في محاولة لتغطية تراجع أصدقائه.

وفي اللحظة التي بلغوا فيها البابين المترجحين قام المهاجم الخفي بالضرب مرة أخرى وتأرجح القضيب الحديدي في الظلام الذي ساد المكان مدعوما بثقل كبير من الخلف. كان هناك صرير ضار عندما ارتطم منشار "دان" الدائري بحديد القضيب ثم ابتعد كل من القضيب والمنشار عن بعضهما البعض.

استطاع "دان" بصعوبة أن يحول دون شطر نفسه إلى نصفين وهو يتراجع إلى الخلف. فقد سقط المنشار من يديه شاقا طريقه من خلال مدخل الباب، تمكن "توم" من الإمساك بصديقه وجذبه إلى الأمان بينما أسرع الآخران من خلال مدخل الباب.

كان الجو أكثر صفاء على الجانب الآخر من هذين البابين على الرغم من أن الدخان كان قد بدأ يتدفق من خلال الفتحة التي كان قد أحدثها منشار "دان"، مد "هارلان" يده ليقفل مفتاح تشغيل المنشار الذي كان لايزال في حالة عمل– وألبس السيد "سويفت" "ساندرا" كمامة هواء. قال وهو يهز رأسه:

– كان ينبغي علي أن أفعل هذا في وقت سابق. إنني في حالة عدم صفاء ذهني بالغ هذه الليلة.

ثم نظر السيد "سويفت" إلى الآخرين موجها حديثه إلى "هارلان":

– أذكر أنك قد قلت: إن المبنى خال من الناس.

فقال "أميز":

– أعتقد أنني قد أخطأت. يبدو الأمر وكأن واضع القنبلة قد احتبس هنا معنا.

سأل "توم" فجأة:

– وأين "روب"؟ يمكن لعينيه اختراق هذا الدخان الكثيف.

فقال صوت أتى من خلفهما:

– آسف يا "توم". كنت أبحث في منطقة الحريق. وهناك خطر..

وظهر "روب" في الممر وقد غطى بشرته –اللامعة دائما– طبقة من الغبار الخرساني مجزعة بأدخنة المواد الكيميائية.

وفي الحال جاء صوت راعد من خلفه طرح الإنسان الآلي وجميع الآخرين على الأرض. طار شيء متوهج ساخن إلى الممر من فوق رؤوسهم ضاربا البابين المترجحين ليهشمهما تماما قبل أن يختفي في الدخان البعيد.

قال "توم" محدقا إلى النيران التي اضطرمت من خلفهم:

– حسنا. لا أظن أنه بمقدورنا أن نسير في هذا الاتجاه. كما أنه أمامنا في الاتجاه الآخر شخص معتوه ممسك بقضيب حديدي ينتظرنا هناك. هل أنت على استعداد لأن تلقي بنظرة في ذلك الاتجاه لتعرف أين هو يا "روب"؟

لم يجب الإنسان الآلي. سأل "دان":

– ما هي مشكلته؟

انحنى "توم" فوق الإنسان الآلي وبدت الحيرة عليه:

– بوسعي أن أقول: إنه مغشي عليه على الرغم من أنه غير مبرمج لشيء كهذا.

قال السيد "سويفت":

– ينبغي أن نخرج من هنا وهذا ما يعني ضرورة مرورنا أمام صديقنا حامل القضيب الحديدي.

وأضاف "أميز" بضيق:

– خاصة وأنه لابد أن يكون قد اهتدى الآن إلى مسدسي.

نهض "توم" على الفور حيث قذف إلى "دان" بالفأس التي كان يحملها قائلا:

– ها هو سلاح لك وأنت يا "هارلان" خذ المنشار السلسلي. يوجد معمل هنا لايزال بعيدا عن اللهب بمسافة معقولة. لنتوجه إليه.

فقال والده منبها:

– المعامل ليست بها نوافذ ولا مخارج.

وجاء القضيب الحديدي من خارج الدخان الأخضر القاتم مصوبا إلى رأس "هارلان" الذي استطاع بصعوبة أن يتلافى الضربة عندما خفض رأسه إلى أسفل، أمسك رئيس الأمن بالمنشار حيث قام بتشغيله وقام بمعاونة "دان" بشن هجوم على الغريب المختفي في الظلام بينما حمل "توم" ووالده "ساندرا" إلى المعمل.

وضعا الفتاة برفق فوق أرضية الحجرة. ثم سأل الوالد:

– وما الذي يمكننا أن نفعله الآن؟

فقال "توم":

– أن نصد الضربات باستخدام الأسلحة المتاحة. هيا يا أبي. هذا أحد معامل المفرقعات، لابد لنا من أن نتمكن من الاهتداء إلى حل ما.

تصفحا معا المواد الكيميائية التي ازدحمت الأرفف بها بينما ترامت إليهما من الخارج أصوات قتال مضطرب. قال والد "توم" مهموما:

– لن يتحملا طويلا.

حمل "توم" برطمانا في إحدى يديه وأخذ يقرأ ورقة البيانات الملصقة عليه. سأل:

– هل لدينا أية مركبات فوسفور أو كبريت هنا يا أبي؟

وناول السيد "سويفت" برطمانين آخرين إلى ابنه قائلا:

– كيف يمكن لهذا المجنون حامل القضيب حتى أن يرى شيئا والهواء محمل بالمواد الكيميائية؟

فقال "توم" حاملا عددا من البرطمانات إلى منضدة المعمل:

– وهل لاحظت مدى قوته؟ عندما هاجم منشار "دان" اندفع القضيب إلى الخلف لكنه لم يسقط كما حدث لـ"دان". هيا.

أخذ مخبارا وسكب فيه بعض المواد الكيميائية ثم أخذ برطمانا من والده واستعد لإضافة ما به إلى المزيج الذي أعده.

قال السيد "سويفت" وهو يتابع العمل من فوق كتف "توم":

– هل أنت واثق بأنك على علم تام بما تفعله؟ عندما تمتزج هذه المواد.

وطارت كرة نارية أخرى بالخارج. رأيا ظلال أشخاص من خلال الزجاج الذي في الباب لحظة صيحة "هارلان أميز" العالية عندما طرح إلى الأرض.

أضاف "توم" المادة الثالثة إلى ما بالمخبار قائلا:

– نعم يا أبي. والآن أمامي عشر ثوان.

وقبل أن يكمل حديثه اندفع نحو الباب حيث ألقى بالمخبار إلى الممر. استطاع بصعوبة أن يفعل ذلك لأن الإناء الزجاجي المحتوي على المزيج كان يزداد سخونة في يده.

انفجر المزيج الكيميائي وانقشع الدخان الكثيف معه لحظة حمل "توم" –خلالها– أحد مقاعد المعمل الطويلة واندفع به إلى الخارج مشاركا في المعركة.

كان "هارلان أميز" على الأرض والمنشار الكهربائي ملقى في منتصف الممر وقد انحنى من فوقه إنسان آلي رافعا قضيبا حديديا في ذراعيه الطويلتين النحيلتين. لكنه لم يكن واحدا من الكائنات الآلية النافعة الموجودة عادة بقصر القنابل– فقد كانت هذه الآلة فارعة الطول نحيلة تتحرك على مسار حراري: كان إنسان آلي لأغراض الصيانة من مركز المعلومات.

استخدم "توم" المقعد الخشبي الطويل كمطرقة ضرب بها الآلة في أحد الجانبين فسقطت إلى الأرض لكنها كانت لاتزال قادرة على التلويح بالقضيب الحديدي من حولها مثل مضرب كرة بلعبة البيسبول.

وإذ استطاع "دان" أخيرا أن يرى غريمه؛ انقض عليه قابضا على القضيب برأس الفأس. كاد الارتطام الناجم عن تلك الحركة أن يطرح "دان" على الأرض لكنه ترنح فقط ولم يسقط، أما الإنسان الآلي فقد هوى إلى الأرض

بجلبة عالية.

حاول الإنسان الآلي – وقد بدأت محركاته تئن– أن يرفع نفسه إلى أعلى حتى يقف، لكن "توم" و"دان" و"هارلان" هبوا جميعا لمهاجمته مندفعين فوقه بكل قواهم. كانت ذراعا الآلة أول ما تأثر بهذا الهجوم.. فقد انفصلتا. حتى جسم الإنسان الآلي أصابته بعض العلامات. وتدفق الدخان من جديد.

قال "توم" لاهثا:

– هيا. لقد انتهى كل شيء، لنصحب أبي و"ساندرا" ونغادر هذا المكان.

حملوا "ساندرا" بعناية متوجهين إلى ذلك الممر ثانية. فتحت عينيها ونظرت من حولها متحيرة. استطاعت أن تقول:

– ماذا...

فقال والدها بصوت حان:

– وقعت هنا حادثة ما يا حبيبتي لكنك بخير. إننا نحملك إلى الخارج الآن.

فقالت "ساندرا" –ورأسها مستند على كتف والدها:

– حقيقة؟ آه حسنا.

وغابت عن الوعي ثانية. كان وجه "هارلان أميز" ينطق بمزيد من القلق وهو ينظر إلى "ساندرا" ثم إلى "توم". قال:

– كان هذا إنجازا طيبا. ماذا تعتقد كان الإنسان الآلي– المختص بالصيانة– يفعل في هذا المكان؟ هل من الممكن أن يكون هو الذي قام بوضع القنابل؟ ولماذا كان يهاجمنا؟

– كنت أشك في أنك تخوض معركة مع إنسان آلي– لأنه ماذا– غير ذلك– يمكنه أن يرى في الظلمة الناجمة عن الدخان؟ أما عن سبب مهاجمته لنا..

واكتفى "توم" بأنه هز رأسه.

قال "دان" أثناء سيرهم:

– هيي. وماذا عن "روب"؟ لايزال فاقد الوعي. أو مصابا بما هو مصاب

به. من غير الممكن أن نتركه هنا.

هز "توم" كتفيه قائلا:

– كما أنه من غير الممكن أيضا أن نأخذه معنا. لا سبيل لنا لحمل "روب" لأنه بالغ الثقل. إذا لم تمتد النيران ربما يمكننا أن نرسل فريقا إلى هنا لاستعادته.

تعثرت قدم "توم" في تلك اللحظة مصطدمة بشيء ما؛ تدحرج فوق الأرضية، ثبت في مكانه وهو يتأمل تلك الكرة الفضية الخالية من الملامح التي عند قدميه.

قال "توم" بصوت هادئ متأمل:

– أخبرني "أورب" أنه بمركز المعلومات. كيف حدث إذن أن يكون هو واحد الكائنات الآلية المختصة بالصيانة هنا بالطابق الأرضي ليقوما بهذا العمل التخريبي؟

الفصل الثامن

قال "توم":

– "أورب" أريد تفسيرا لما حدث.

أجابه الإنسان الآلي كروي الشكل القابع فوق مكتب السيد "سويفت" قائلا:

– حسنا يا "توم". يمكننا تكرار ما سبق قوله:

– أخذت أحد الكائنات الآلية المختصة بالصيانة وأعدت برمجته بحيث حملك إلى "قصر القنابل".

فقال الإنسان الكروي مؤكدا بهدوء:

– إلى معمل التركيبات المتفجرة. هذا صحيح.

واستطرد "توم" قائلا:

– وعندما أصبحت بداخل المعمل جعلت الإنسان الآلي يضع قنبلتين.

فقال "أورب" بهدوء:

– وهذا صحيح أيضا؛ كان بطيئا جدا حتى كنا متأخرين عن الموعد

المحدد بنصف ساعة من الزمن، وقد أثبت الإنسان الآلي– المختص بالصيانة– أنه بطيء للغاية بحيث لم يسمح لنا بفرصة للهروب من الموقع.

– وعندما جئنا أسقطت "روب" وجعلت الإنسان الآلي المختص بالصيانة يهاجمنا.

فقال "أورب":

– نعم. ولكن مرة أخرى كان بطيء الحركة جدا. أعتقد أن به عطبا ما.

فقال "دان" متململا فوق أريكة المكتب:

– لا أستطيع أن أصدق هذا. لقد اعترف بكل شيء!

قال "توم":

– إنك تعترف إذن بكل هذا. لكن ما الذي دفعك إلى أن تفعله؟

فقال "أورب":

– لقد نفذت ما أمرت به. تصرفت وفقا لبرمجتي.

ساله "توم":

– من الذي أصدر لك الأوامر؟ ومن الذي قام ببرمجتك؟

وللمرة الأولى لم يجب صوت "أورب" المتعقل على الفور، لزم الصمت لحظة. ثم قال بصوت متقطع متردد:

– لا أتذكر أية برمجة أجريت لي. وهذا أمر غريب جدا.

فقال والد "توم":

– لكنه غير مثير للدهشة.

وظل يذرع الحجرة ذهابا وإيابا مواصلا بذلك ما كان قد بداه منذ عودته من المستشفى. كانت "ساندرا" بخير لكن وقع الحادث كان واضحا على ملامح وجه السيد "سويفت". وقف لحظة ينظر إلى "أورب" بإمعان ثم قال:

– "دان" تنظر إلى إنسان آلي مثل "أورب" الذي يمكنه أن يحدثنا باللغة الدارجة، ويمكنه أيضا أن يظهر قدرا من الفكاهة وربما تظن أنك أمام كائن قادر على التفكير لكنه غير ذلك. "روب" و"أورب" مجرد آلتين حظيتا ببعض البرمجة الماهرة من ابتكار ابني ومن جانبه.

ثم قطب السيد "سويفت" قليلا:

– لكن يبدو الآن أن شخصا آخر قد قام ببرمجتهما وكان نتيجة ذلك أن ابنتي ترقد بالمستشفى الآن.

تنهد من الأعماق مستطردا:

– أحمد الله على أن إصابتها ليست خطيرة. يقول الأطباء: إنها سوف تعافى وتعود إلى البيت بنهاية يوم غد. لكن هذا الوضع برمته مثير للقلق.

قال "دان":

– كن متفائلا يا سيد "سويفت". تمكنت على الأقل من وضع يدك على جاسوسك الصناعي.

فقال "هارلان أميز" وهو يهز رأسه:

– ما وضعنا يدنا عليه هو وسيلة تسرب المعلومات وبذلك علمنا لماذا لم يتم تهريب نماذج أصلية. فـ"أورب" لا يد له.

فقال "توم":

– من دواعي حسن حظنا أنه لم يكن مع "روب". لأنه لو كان "أورب" قد تمكن من الحصول على مساعدة فعالة...

وتوقف عن الكلام وقد اكتسى وجهه بتقطيب عميق ثم قال:

– لانفجرت هاتان القنبلتان في موعد سابق بنصف الساعة ولكانت جميع الخطوط الهاتفية بمكتبك قد شغلت تماما في سياق مواجهة هذه الظروف الطارئة.

ثم توقف مدة ثانية ليستطرد قائلا:

– ذات اللحظة التي اختطف "ربك" فيها.

أومأ السيد "سويفت" برأسه:

– تم التخطيط لكل هذا بهدف تحويل انتباهنا عن واقعة الاختطاف بمهارة فائقة.

ثم بدأ يسير في الحجرة من جديد. قال:

– كل العملية خطط لها بذكاء. أعلم في بادئ الأمر أنه يبدو أن هناك إجراءات غير محكمة تماما في تنظيماتي – ربما كانت في جهاز الأمن. لم أرغب في أن أحدثك عنها يا "هارلان".

وأومأ "هارلان":

– ثم تأتيني تهديدات بالتخريب – لا. لم أخبرك بها يا "توم".

ولم أخبر بها أي إنسان، لأنه في وجود جاسوس بيننا كان من الممكن تسجيل أي شيء أقوله. لهذا السبب اخترت أسلوب الصمت.

اكتفيت بإحكام جهاز الأمن محاولا أن أجعل التخريب مستحيلا لكن فكرتي لم تنجح تماما.

ثم دعك عينيه بيده قائلا:

– الذي فعل ذلك يعرفني أكثر مما أعرف أنا نفسي. وقد ضغط ذلك الشخص على جميع الأزرار الصحيحة. وهذا ما يخيفني بحق.

توقف السيد "سويفت" بجوار مكتبه متأملا "أورب" وقال:

– حسنا يمكننا على الأقل أن نبدأ بإصلاح الضرر الذي اكتشفناه. عليك أن توقف "أورب" عن العمل– بالتأكيد –حتى تعاد برمجته.

قال "توم":

– هذا ما كنت أفكر فيه.

ثم فتح علبة مستطيلة كانت فوق المكتب وكانت بداخلها إبرة مشفرة مغناطيسيا طولها ست بوصات. أخذ يقلب "أورب" حتى اهتدى إلى ثقب إبرة كاد أن يكون غير مرئي في بشرة الكائن الآلي المعدنية. قال "توم" وهو يتأهب لغرس الإبرة في الثقب:

– إنني آسف لذلك يا "أورب".

وأجابه "أورب":

– إنني مقدر الظروف يا "توم". حماية البرمجة ضرووورو

وضاع صوت الآلة عندما دخلت الإبرة في موضعها. قال "توم":

– نسخة من برمجة "أورب" مختزنة في مركز الحاسبات الآلية. بعدما أختبرها جيدا لأطمئن إلى أن أحدا لم يعبث بها سوف يصبح "أورب" كالجديد مرة أخرى.

قال "دان" والقشعريرة تسري في جسده:

– إنه شيء مخيف بالفعل.

وناول السيد "سويفت" الكائن الآلي مبطل المفعول إلى "أميز" قائلا:

– لقد تم بذلك حل جانب واحد من المشكلة.

فقال "أميز":

– صحيح. والآن يأتي السؤال المهم: من الذي فعل ذلك؟

فقال السيد "سويفت":

– سنقوم بتسليم "أورب" إلى إدارة البرمجة ونرى ما إذا كان يمكنهم الاهتداء إلى أي دليل يشير إلى الهدف من برمجته. ربما يكون ذلك الجاسوس قد ترك بصمات سجلت إليكترونيا بالحاسب الآلي.

قال "توم":

– نعم.. واقع أن الجاسوس ينبغي أن يكون مبرمجا يجعل الشكوك تتركز حول ذلك الشاب "فراين".

فقال "دان":

– هذا صحيح. يا سيد "أميز" تقول: إن هذا الشاب هبطت عليه أموال مجهولة المصدر.

أوما "هارلان أميز" قائلا:

– لقد قمت أيضا بالاطلاع على حسابه بالبنك. لا يبدو أن هذه الأموال تأتيه بمقتضى شيكات مصرفية. لكنها ترد في صورة نقد سائل.

أوما "دان" قائلا:

– "فراين" مبرمج وهذا ما يعني أن باستطاعته أن يعبث بـ"أورب". أليس مما يسترعي الانتباه أي المباني يستهدف للتخريب؟ "قصر القنابل" الموقع الذي يعمل فيه.

هز "أميز" رأسه:

– لا أرى إبلاغ الشرطة بواقعة كهذه. سوف يضحكون علي إلى حد يجعلني الوذ بالفرار من قسم الشرطة. لان الدولة جميعها ظرفية فحسب.

فقال "توم":

– ومع ذلك. ينبغي مراقبة "فراين" لو كان قد قام بتسريب المعلومات المتعلقة بالاختبار– على سبيل المثال– فهذا يعني أن لابد أن يكون له اتصال على مقربة من هنا. وهذا ما يعني أنه من الممكن أن نتوصل إلى الاتصال بـ"ريك".

جلس الجميع في صمت لحظة يقلبون هذه الفكرة في أذهانهم. أتى رنين

جهاز الاتصال من فوق مكتب السيد "سويفت".

قال الحارس صاحب المكتب الذي بخارج حجرة المكتب:

– معذرة يا سيدي. تلقيت مكالمة هاتفية لابنك من فتاة تدعى "ماندي كوستر". تقول إنها تطلبه لأمر مهم.

رفع "توم" السماعة في الحال:

– "ماندي" هل اتصالك هذا يعني ما أعتقد أنه يعنيه؟ هل وجدته؟ عظيم! أين أنت؟ أوهوو. سأكون هناك حالا.

ثم التفت نحو الآخرين بالحجرة:

– بمناسبة الحديث عن "جاريت فراين" اهتدت "ماندي" إلى حيث هو الآن. إنه في ملعب البولينج بـ"سنترال لينز" سوف ألحق بها هناك.

ثم تناول "دان" "أورب" مبطل المفعول. قائلا:

– هل يمكنك أن تسلمه إلى إدارة البرمجة وتطلب منهم البدء بعملية فحص شامل له؟ أشكرك.

وتوجه إلى الباب. كان "سنترال لينز" أكبر المباني في حي تجاري سبق أن رأى عهود رواج وازدهار. بدا ذلك جليا من اللافتة الضوئية المركبة فوق مجازات البولينج والتي كانت تومض بحروف عملاقة: "سنترال لينز" إذ توقف حرف الراء عن العمل منذ أن حضر "توم" والأسرة إلى هذه المدينة منذ خمس سنوات سابقة. لكن على الرغم من اللافتة والجدران الخرسانية الملطخة كان هناك عدد كبير من السيارات المنتظرة بالخارج وعدد كبير من الصبية بالداخل.

بعدما دخل "توم" من الباب الخارجي وقد ارتدى الآن قميصا أبيض نظيفا وبنطلونا باللون الكاكي اضطر إلى أن يقضي بضع لحظات في التطلع حول المكان حتى رأى "ماندي" في ركن المشروبات. كانت تتحدث مع أحد الشبان، الذي كان واضحا عليه أنه لم يصدق أنها تريد تضليله.

اقترب "توم" منهما فسمع الشاب يقول:

– إنك تنتظرينه منذ مدة طويلة ولم يظهر بعد. لماذا لا تصرفين النظر عنه خاصة وأني معك هنا.

– أهلا يا "توم"!

ورمقته بنظرة طالما رأى "توم" مثلها في أفلام رعاة البقر لدى وصول الفارس.

قال "توم" ملتقطا حديثه مما كان الشاب الآخر قد قال:

– آسف على هذا التاخير.

– لا بأس. كنت اتحدث مع "جيري" هنا. "جيري" اقدم لك "توم".

فقال "جيري":

– إنني سعيد بلقائك. هيي لقد حان دوري. أراك فيما بعد.

وانطلق عائدا إلى المجازات. سالها "توم":

– تريدين مشروبا غازيا؟

فقالت "ماندي":

– لقد تناولت ثلاثة منها منذ أن دخلت هذا المكان. اعتقد القائمون على هذه الخدمة انني أكاد أموت عطشا. أما "جيري" واقرانه فقد اعتقدوا انني جئت إلى هنا سعيا لانتقاء صديق لي. لكنني اردت ان أظل في مكان ما يمكنني من الاحتفاظ بـ"فراين" تحت نظري طوال الوقت.

ثم أومات إلى الجانب الآخر من الحجرة قائلة:

– إنه هناك أمام المجاز الرابع.

ونظر "توم" إلى حيث أشارت فرأى "جاريت فراين" موشكا ان يدفع بكرته إلى المجاز. كان شعره الفاحم أكثر طولا مما كان عليه في الصورة التي نقلها الكمبيوتر لسجل خدمته. قذف برأسه إلى الخلف حتى يبعد الشعر عن عينيه قبل أن يدفع بالكرة إلى الأمام. وصوب ضربته.

عندما التفت "فراين" نحو اللاعبين الآخرين وقع بصره على "توم" فشحب وجهه تماما. لكنه استطاع أن يضع على وجهه ابتسامة عريضة ويتوجه إلى ركن المشروبات. قال وهو يبسط يده قائلا:

– "توم سويفت" أنا "جاريت فراين" – أحد مستخدمي والدك.

ثم التفت إلى "ماندي" قائلا:

– عندما رأيت هذه الفتاة تقف هنا علمت على الفور أنها لا بد أن تكون في انتظار شخصية مرموقة – خاصة وأنها قد رفضت صداقة "جيري" صديقي.

لم يصافح "توم" اليد التي مدها "فراين" إليه.

– التقينا من قبل يا "فراين" – يوم أن قام أحدهم بتخريب لوح "ركمجتي". كنت في منطقة التجارب وقتئذ. لكنني أعتقد أنه قد فاتك مشاهدة أحدث حلقات التخريب بوجودك هنا طوال الأمسية: أعني الانفجار الهائل بمنشآت "سويفت".

سأل "فراين" متظاهرا ببراءة تامة:

– حدث انفجار؟

– نعم. انفجر "قصر القنابل" بينما كانت شقيقتي بداخله. كادت أن تفقد حياتها.

فقال "فراين" مضطربا:

– أنا لم... آسف لأن أعلم ذلك.

قال "توم" بصوت خافت لكن بنبرة لاذعة:

– إنني سعيد جدا لأن أرى أن لك ضميرا. لا بأس من تفجير المنشآت لكنك لا تحب أن ترى أناسا يقتلون في الحادث. حسنا كاد صديقي "ريك" أن يكون قد قتل عندما قام أصدقاؤك باختطافه. وإنني سعيد الحظ أنني لم أتحول إلى فطيرة عندما قام أعوانك بتخريب تجربة طيراني اليوم.

ظهرت دائرتان ممتقعتا اللون على وجنتي "فراين". قال متلعثما:

– لا أعلم ما الذي تتحدث عنه.

فأجابه "توم" وقد علا صوته:

– أتحدث عن الأموال الطائلة التي جرت في يديك في الآونة الأخيرة. تلك الأموال التي تربحها من عملك كجاسوس ومخرب متضامن.

– هل فقدت صوابك؟ تتهمني باقتراف شيء حدث بينما أنا هنا على مرأى من جميع هؤلاء الناس.

– كان هناك شيء ما وضعته بعدما عبثت بأحد كائناتي الآلية. ومجرد إتمام الجريمة بطريق التحكم عن بعد لا يخليك من المسؤولية عنها.

ثم علا صوت "توم" إلى حد الصياح:

– هذا هو مصدر كسبك تلك الأموال الملوثة.

وأجابه "فراين" بمثل نبرته العالية:

– لست مطالبا بان اخبرك باي شيء عن أموالي. ربما أكون قد فزت بسحب اليانصيب. أو ربما يكون "يوليوس" عم والدي قد ترك لي هذه الثروة بمقتضى وصيته. لا أرى سببا يحتم علي الحديث معك عن مصدر أي مبلغ منها.

فقال "توم" منفعلا:

– سوف تضطر إلى ذلك آجلا كان أم عاجلا. قد أكون الآن في وضع لا يمكنني من الالتجاء إلى الشرطة لكنني أواصل بحثي عن سبل تحيل حياتك إلى جحيم.

ثم أمسك بصدر قميص "فراين" قائلا:

– هل تفهمني؟

دفع "فراين" بيده "توم" بعيدا عنه فسدد "توم" إليه لكمة قاسية صدها "فراين" طارحا "توم" إلى الأرض. نهض "توم" على الفور بسرعة قذيفة نارية وتشابكت أيديهما بشراسة لحظة حتى تمكن "فراين" من مد ساق من خلف عقب "توم" فاسقطه طارحا إياه إلى الأرض ثانية.

قدم الشبان الثلاثة الذين كانوا يلعبون مع "فراين" ووقفوا إلى جانبه. قال "جيري":

– ربما كان من الأفضل لك أن تنصرف الآن.

لكن "فراين" اكتفى بالتلويح إليهم بان يبتعدوا عنه قائلا:

– لا يا رفاق. لست بحاجة إلى أية مساعدة ضد "توم" هذا. ما لم يقرر ربما أن يرسل في عقبي إنسانا آليا من عنده.

غادر "توم" و"ماندي" ملعب البولينج وسط ضجة من ضحكات السخرية. عندما اصطحبته إلى سيارته لم تجرؤ على أكثر من نظرة سريعة إلي وجهه. بدأت تقول:

– "توم".. إنني آسفة.

لكن "توم" بدأ يضحك.

– حسنا. لو كنت أنت تشعرين بكل هذا القدر من الإحراج من أجلي فلابد أن يكون "فراين" مقتنعا بانه قد أوقع بي هزيمة ساحقة.

فتح الباب الآخر من أجل "ماندي" ثم اتخذ مقعده من خلف عجلة

القيادة. مد لها يده قائلا:

– هل تعرفين ما هذا؟

دققت النظر إلى ذلك الشيء متناهي الصغر الذي في كفه:

– هل هو دبوس إبرة بلا رأس؟

فقال "توم":

– إنه جهاز متناهي الصغر. غرست واحدا مثله في ثياب "فراين" أثناء تشابكنا بالأيدي. لنسمع الآن ما يذيعه في هذه اللحظة.

أخرج "توم" علبة صغيرة من صندوق القفاز – عبارة عن جهاز استقبال لاسلكي وجهاز تسجيل أشرطة متناهي الصغر. فتحه وبدأ تسجيل ما يسمع.

ترامى إليهما صوت "فراين" واضحا وعاليا يقول:

– حسنا يا رفاق. اسمحوا لي بدقيقة.

ثم سمعوا لحظة من أصوات كثيرة ثم صوت قرقعة عملات معدنية ثم صوت إدارة قرص. قال "توم" مديرا قرص الصوت:

– إنه عند الهاتف.

تمكنا من أن يسمعا بجلاء صوت رنين هاتف الرقم الذي طلبه "فراين". قال "توم":

– غرست هذا الجهاز الدقيق في ياقة قميصه حتى يكون قريبا من فمه إذا حدث أن أجرى اتصالا هاتفيا باي إنسان.

سمعا صوتا يجيب بنبرة فاترة:

– نعم.

– أنا "فراين".

– ليس من المفترض أن تتصل بهذا الرقم مالم تكن لديك معلومات بالغة الأهمية.

فقال "فراين":

– نعم. لدي معلومات مهمة جدا. حضر "توم سويفت" إلي الآن واتهمني بانني كنت موشكا على قتل شقيقته بقنبلة، بدأوا يتجهون إلي يا رجل وأريد باقي المبلغ الذي وعدتني به.

ثم تحول صوت "فراين" إلى شيء قبيح وهو يقول:

– يبدو أن رئيسكم الأعلى – التنين الأسود– لم يخطط لهذه العملية بالأسلوب الصحيح كما كان يتصور.

الفصل التاسع

انحنى "توم" نحو الأمام قليلا مركزا كل اهتمامه على جهاز الاستقبال.

قال ذلك الصوت الفاتر مخاطبا "فراين":

– سوف تتسلم مكافأتك بعدما تتوجه الأمانة شرقا في الصباح. لا تتصل بنا هنا ثانية. سوف نتصل نحن بك.

بدأ "فراين" يجيب:

– اسمعني–

لكنه لم يتلق–من قبيل الإجابة– سوى صوت إعادة السماعة إلى موضعها.

اتسعت عينا "ماندي" دهشة وهي تنظر إلى جهاز الاستقبال الذي امتدت يد "توم" إليه لتغلقه. قالت:

– هذا مستحيل!

فقال "توم":

– ويستحق اللكمات التي وجهت إلي وأنا أغرس القطعة بملابسه.

سمعت الرجل الذي على الطرف الآخر من الهاتف يشير إلى "أمانة". بكم تراهنيني على أن اسم هذه الأمانة هو "ريك كانتويل"؟

سألت "ماندي":

– لكن من هو ذلك الرجل المدعو "التنين الأسود". الشخص المفترض أن يكون الرئيس الأعلى؟

قال "توم":

– سمعت هذا الاسم من قبل. كلما سمعه والدي غير موضوع الحديث على نحو أو آخر.

ثم قطب مستطردا:

– حسنا. لا أعتقد أنه سوف يتمكن من الالتجاء إلى هذه الحيلة في هذه المرة.

قالت "ماندي" وهي تلقي نظرة على ساعة يدها:

– عظيم. لكن أشعر بمزيد من الضيق أن أذكر شيئا كهذا في مثل هذه الظروف. لكنني رأيت الآن فقط الوقت الذي تشير الساعة إليه.

نظر "توم" إلى ساعة يده قائلا:

– الوقت متأخر إلى حد غير معقول. وينبغي أن تكوني في طريقك إلى البيت على الفور.

بدأت "ماندي" تقول:

– إذا رأيت أن تتركني...

لكن "توم" هز رأسه قائلا:

– سأسير من خلفك.

وبينما هو يقود سيارته خلف سيارة "ماندي" أحس "توم" وكأنه إطار به ثقب بطيء التسرب. سارت الأمور فيما يتعلق بـ"ماندي" على خير ما يرام في هذه الليلة – طالما كان مشغولا بالقتال وبالتخطيط لمساعدة "ريك". ومع كل ذلك لم يعلم في تلك اللحظة حتى ما يمكن أن يقوله لها.

أوقفت "ماندي" سيارتها أمام منزلها ثم أتت إلى سيارة "توم" حيث وقفت بجوار النافذة قائلة:

– أرى أن أودعك الآن.

وأومأ "توم" قائلا:

– ينبغي أن أحمل هذا التسجيل إلى المجمع.

فاجأته بأن انحنت إلى داخل النافذة وطبعت قبلة على وجنته قائلة:

– سأقول لك شيئا واحدا يا "سويفت": من المؤكد أن موعدا معك لن يكون أقل من رائع.

لازمت "توم" ابتسامة مشرقة على طول الطريق إلى مجمع منشآت "سويفت".

لحسن حظه أنه التقى بـ"هارلان أميز" عند بوابة المدخل تماما. سلمه الشريط بهدف تحليله ثم ذهب "توم" إلى والده.

لم يصدق السيد "سويفت" أن الحظ قد حالفهم بحيث تمكنوا من الحصول على اتصال هاتفي بالمختطفين. قال مكررا:

– تقول: إنهم لم يقوموا بنقله بعد؟

أجابه "توم":

– هذا ما قاله الصوت الذي كان على الطرف الآخر من الخط لـ"فراين". ذكر "فراين" أيضا اسم ذلك الشخص الذي من المفترض أن يكون مسؤولا عن هذه العملية – "التنين الأسود".

غاص السيد "سويفت" فوق المقعد من خلف مكتبه. تنهد باسطا كفيه فوق المكتب.

– هيا يا والدي. طالما اتبعت روتين التزام الصمت كلما ذكر هذا الاسم. هل تعلم من هو ذلك الشخص؟

فقال والد "توم":

– كنت أعرفه ذات مرة. اسمه الحقيقي هو "زافيار ميس".

قطب "توم" قائلا:

– "ميس".. انتظر لحظة. قرأت مقالاته عن الوراثة.

قال السيد "سويفت":

– كان لابد لك أن تقرأها إذا كنت تريد أن تعرف شيئا عن هذا العلم. كانت دراسات "ميس" الأولى هي الأساس للعديد من الاكتشافات اللاحقة.

قال "توم":

– تنم عن علم غزير.

– هذا وصف معبر بحق عن "زافيار ميس". إنه واحد من العلماء المعدودين – باحث لا نظير له يمكنه أيضا أن يحيل نظرياته إلى تطبيقات عملية.

– يكاد يكون مثلك يا أبي.

هز "توم سويفت" الوالد رأسه ثم التقط قلما من فوق مكتبه أخذ يضرب عليه بأصابعه كما لو كان شارد الذهن في ذكريات قديمة. قال أخيرا:

– هناك فرق واحد كبير هو أن "ميس" لا يسمح لأي شيء كان أن يقف في طريق أبحاثه – لا الاعتبارات الأخلاقية ولا البيئة ولا حتى الحياة البشرية.

واقشعر بدنه ثم استطرد:

– لو كان هناك ألف نفس معرضة للموت في سبيل إثبات نظرية علمية له فلا مانع من أن يموتوا جميعا.

– من المستحيل أن تعني ذلك.

فقال السيد "سويفت":

– بل أعنيه تماما. منذ خمسة عشر عاما كان "ميس" مرشحا لنيل جائزة "نوبل". كان في تلك الآونة يجري أبحاثا على الصفات الوراثية للتوائم – الموضوع القديم الذي يناقش الطبيعة – أو – التنشئة. بمعنى: هل شخصية المرء تتشكل وفقا للجينات التي ولد بها أم وفقا لأسلوب تنشئته؟

قطب "توم" متحيرا:

– وما الأمر المروع في هذا؟

أحكم السيد "سويفت" قبضته على القلم الذي كان يعبث به:

– أسس نظرياته على ذلك النوع من الأبحاث التي أجراها النازيون في معسكرات الموت حيث زُعم أنهم قاموا بذبح أعداد لا تحصى من التوائم.

قال "توم" متمتما:

– فظيع جدا.

– وهناك ما هو أفظع. عندما اكتشفت اللجنة المختصة بجائزة "نوبل" ذلك ورفضت أبحاثه كرس "ميس" نفسه لكسب المال. أعتقد أنه كان بصدد ذلك ينتقم لنفسه من العالم أيضا. تعمل شركاته على تلويث المزيد من المياه في كل يوم وتنتج المزيد من الأسلحة وتقتل عددا أكبر من الأنفس مما تقتله أية هيئة على الأرض. لأنه يعتبر العدد الأكبر من الناس مجرد فئران معمل لتجاربه.

قال "توم":

– إنك تغالي في هذا التشبيه.

فتح السيد "سويفت" أحد أدراج مكتبه قائلا:

– عندي هنا ملف قمت بتجميع محتوياته على مدى بضع سنوات يتضمن دليلا على أن الجفاف والقحط المترتب عليه الذي أصاب القارة الإفريقية كان نتيجة إحدى تجارب "ميس" الفاشلة في مجال التحكم في المناخ. وبه أيضا دليل قاطع على إدارته عددا من بلاد العالم الثالث تقريبا. فما أن يتوصل إلى التحكم في الحكومة حتى يبدأ ببناء المصانع النووية والكيميائية الخطرة في وسط المناطق الآهلة بالسكان. ويكاد يستعبد العاملين بمنشآته الصناعية. وعندما ينهي أعماله بتلك المناطق لا ينمو نبات حيث كان يعمل بسبب النفايات السامة التي يخلفها بعده.

قال "توم":

– يبدو ذلك الرجل وحشا حقيقيا.

قال السيد "سويفت" وهو ينهض من خلف مكتبه:

– يمكنك القول بأنه الضد الصحيح لكل شيء أنا وأنت نؤمن به. دائما ما كنت أعلم أننا سوف نضطر إلى محاربته سواء كان ذلك عاجلا أم آجلا. ينظر "ميس" إلى منشآت "سويفت" على أنها منافسه الوحيد في مجال العلوم النظرية. بدأ يعد لتدميرنا منذ خمس سنوات – منذ أن اشترى مجمعنا القديم الذي كان في "ليك كوربولا".

سأل "توم" متعجبا:

– هو الذي اشترى مصنعنا الذي في "نيويورك"؟ مادمت كنت تعلم عنه كل ذلك لماذا سمحت له بشرائه؟

فقال السيد "سويفت" موضحا وهو يسير إلى النافذة كي يلقي نظرة على بقايا "قصر القنابل":

– "زافيار ميس" لا يتصرف علنا لكنه يتعامل من خلال وكلاء من العاملين لدى شركات يتبعون أناسا ممن يطيعونه– مثل ذلك الجاسوس الذي كان يعمل تحت نظرنا وسمعنا. قمنا ببيع المصانع لما بدا أنها شركة طيبة السمعة والتي ثبت لنا أنها إحدى واجهات "التنين الأسود".

هز والد "توم" رأسه بمرارة مستطردا:

– حول المصانع إلى قلعة – اتخذ منها مركزا رئيسيا له. وكاد عمله بمرور الوقت أن يحطم المدينة.

قال "توم":

– والآن يريد أن يتوصل إلى سر الموصّلة المفرطة. وسوف يترك ثقبا بحجم "ميس" في كل من يعترض طريقه. هل هذا هو المفهوم الصحيح؟

– الأمر المؤكد هو أن تحت يده الآن أحد ألواح "الركمجة". وربما يكون قد أخذ الآخر أيضا. لأنه عندما ذهب رجالنا لإخلاء الموقع عند الشاطئ لم يجدوا أثرا للوح الذي كنت تستخدمه – كما تبينوا أن جزءا كبيرا من المسار الذي كنت قد وضعته قد قطع وحمل أيضا. ولديه "ريك" كي يساله عن التفاصيل التقنية.

التفت السيد "سويفت" بعيدا عن النافذة فرأى ابنه يسير في الحجرة على نحو مهتز سريع. قال "توم":

– لكن "ريك" لا علم له بأية تفاصيل تقنية، وكونه في يدي رجل مثل "التنين الأسود" يمثل موقفا خطيرا للغاية.

اندفع "هارلان أميز" إلى داخل الحجرة قائلا وهو يلوح بورقة مطبوعة بالكمبيوتر:

– فهمنا الآن شيئا ما. ذلك الرقم الذي أتى "توم" به من المفترض أن يكون مرفوعا من الخدمة. كان مخصصا لخط هاتفي خاص بمزرعة قديمة من المفترض أنها توقفت عن العمل منذ بضع سنوات. وتعلمان أين تقع؟ في منتصف البقعة التي اختفت الطائرة المروحية فيها من الرادار.

قال "توم":

– رقم هاتفي لم يتم تخصيصه لمشترك آخر ولا تزال المكالمات تتم من خلاله؟ يبدو الأمر وكأن أحدهم كان يعبث بكمبيوتر شركة الخدمات الهاتفية.

قال "هارلان أميز":

– حان الآن موعدنا مع العبث. قوات الشرطة المحلية متوجهة الآن إلى هناك. وسيقوم رجال الأمن العاملون لدينا بمعاونتهم.

ثم التفت إلى "توم" متسائلا:

– أتحب أن تأتي معي في طائرتي المروحية؟

فقال "توم":

– أتفهمني! لنتوقف عند معملي؛ هناك بعض المعدات التي قد تكون ذات فائدة في غارتنا هذه.

*****

ما إن صعدت الطائرة المروحية بهما إلى الجو حتى أعطى "توم" منظارا يعمل بالأشعة دون الحمراء إلى "أميز". قال رجل الأمن وهو ينظر من مقدمة الطائرة:

– غريب هذا المنظار. أستطيع أن أرى الأرض بوضوح، كما أن الأشياء لا تبدو مفلطحة كما هو الحال عند استعمال المناظير الأخرى.

ثم هز الرجل رأسه قائلا:

– للأسف أنه لم يكن لديك عدد كاف حتى توزعه على فريق الإغارة.

تمكن "توم" –بالاستعانة بالمنظار– من الاهتداء إلى الطريق المؤدي إلى الجهة التي كانوا يقصدونها. رأى من خلال ذلك المنظار أن حرارة عادم مركبات القوات المغيرة قد أضاءت المنطقة تماما.

سأل "توم":

– أمر مدهش – ألا ترى ذلك؟ أن جميع هؤلاء سوف يتجمعون في هذا الممر الضيق الأشبه بصندوق صغير مغلق؟ مخبأ ذو مخرج واحد لا يبدو بالفكرة الجيدة.

هز "أميز" كتفيه قائلا:

– مخرج واحد يعني أيضا مدخلا واحدا موجبا الحراسة. ثم إن هذه المنطقة تعتبر منعزلة إلى حد كبير وبهذا لن يقلقوا من أن يتعثر الناس بهم.

وجه الطائرة إلى ما فوق قافلة المركبات التي كانت تسير بعيدا عن الطريق تشق طريقها صعودا إلى الدرب المتعرج. قال "أميز" مبتسما وهو يضرب على لوحة التحكم في طائرته:

– وهناك طريق آخر إلى خارج هذا المجاز. لديهم طائرة مروحية بالتأكيد. ومعنا واحدة هنا مستعدة للانقضاض عليهم.

كانت مركبات رجال الشرطة ورجال الأمن قد وصلت أخيرا إلى مضيق الوادي الرفيع الطويل الذي كان يربط ذلك الممر ببقية العالم. لابد أن

يكونوا قد مروا بأحد أفراد الحراسة لأن معسكر القاعدة الصغيرة بالممر تنبه فجأة. أضيئت المصابيح واستطاع "توم" أن يميز أشكال رجال يسرعون إلى خارج الخيام المموهة من حول جدار الممر. تلألأت أضواء المصابيح الأمامية لعدد من مركبات النقل الثقيل التي انطلقت في الوادي. كانت سوف تلتقي بالشرطة في القريب العاجل.

قال "أميز" مبتهجا وقد وجه طائرته المروحية بحيث غطت الفضاء الجوي الواقع فوق ذلك المجاز الضيق.

– لقد احتبسناهم كما لو كانوا بداخل زجاجة. ليس علينا الآن إلا أن نضغط على غطائها من أعلى إلى أسفل.

طاف من فوق المجاز فاتحا الميكروفون وعملت مكبرات الصوت المركبة أسفل الطائرة على تكبير صوته. قال "أميز":

– إنكم محاصرون. مطوقون من جميع الجهات. لا فرصة أمامكم للخروج من هنا. استسلموا الآن.

بدأ دورة ثانية أعلى المجاز ولم يزل "أميز" يذيع رسالته المخيفة:

– إنكم محاصرون. مطوقون من جميع الجهات. ما الذي.

وسقط جزء كبير من شباك قوية عملاقة في وسط المجاز كاشفا عن طائرة نفاثة بالغة السرعة مزودة بخاصية الإقلاع الرأسي والهبوط الرأسي. كان واضحا أن تلك المقاتلة كانت معدة للإقلاع؛ لأنه ما إن أزيحت الشباك من طريقها حتى سمع أزيزها وهي تصعد إلى طبقات الجو عموديا واللهب يندفع من محركاتها.

مرت بطائرة "هارلان" المروحية مرور السيارة البخارية بسلحفاة. اهتزت الطائرة المروحية بفعل قوة انطلاق عادم النفاثة كما لو كانت لعبة طفل في الهواء.

طار مكبر الصوت من يد "هارلان" لكن "توم" التقطه مسرعا وأعاده إلى موضعه بالطائرة. قال "توم" بنبرة شابتها مرارة قاسية:

– ما رأيك في أن نعود إلى المجمع. كلانا يعلم أن الشخص الذي جئنا من أجله قد رحل تواً على متن هذه الطائرة.

الفصل العاشر

جلس "ريك كانتويل" بداخل الطائرة النفاثة مستندا إلى الخلف فوق مقعده. لم يكن له أي اختيار في ذلك، فإضافة إلى الحزام وغطاء الرأس اللذين قيدا حركته ثبت زوجان من الأغلال الحديدية كلا من معصميه في أحد ذراعي المقعد.

التفت نحو الرجل الجالس إلى جواره وكان من أنحل من التقى "ريك" بهم جسدا. لكن نحالته كانت قوة عضلات. ربما كان ذلك الرجل أقوى بكثير مما يبدو. كان شعره أبيض تماما انسدل حتى كتفيه. كانت هناك لمحة من شحوب العينين من خلف نظارته الشمسية ولم ينطق وجهه الأبيض الشاحب الخالي من التجاعيد بأية مشاعر كانت. بدا لـ"ريك" كأنه أحد أبناء المدن المتأنقين بل وتقمص الدور أيضا؛ ارتدى قميصا أسود مشمر الكمين وبنطلونا من الجينز الأسود وحذاء رعاة البقر.

بادره "ريك" بقوله:

– أيضايقك أن تخبرني بما يجري؟ اختطفت وأنا سابح في الهواء ويضعني أحدهم في شبه شرنقة من الإسفنج الصناعي وقناع الأوكسيجين على وجهي لمدة لا أعرف مداها. ثم وفجأة تنتزعونني من هناك وتدفعون بي إلى داخل هذه الطائرة وتقلع بنا. أعتقد أنني مدين لك بالشكر لإخراجي من ذلك الوسط البلاستيكي لكن – يحدثني إحساس ما بأنك لم تفعل ذلك بهدف إنقاذي.

كاد الرجل ذو الزي الأسود ألا يلتفت إلى "ريك" إطلاقا وكان كل ما قاله هو:

– إنك كثير الكلام.

– كل ما أريده هو أن أعرف لماذا سرت بي في الظلام.

تحول الخط المستقيم الذي ميز فم الرجل إلى أقل لمحات الابتسام التي لم تدم أكثر من ثانية واحدة.

– كنت موشكا على أن تنقذ. وما كنا لنسمح بذلك يا "كانتويل".

فقال "ريك":

– وكيف علمت ذلك؟ سؤال غريب. كانت حافظة نقودي في جيبي عندما أتيت بي ولا أشعر بأنني جالس عليها الآن.

استند "ريك" إلى الخلف فوق مقعده. كاد أن يتم إنقاذه إذن! رأى أنه ينبغي عليه أن يحتفظ بمعنوياته عالية. قال:

– تعلم. كان معي عشرة دولارات على الأقل بتلك الحافظة. أرجو أن..

قال الرجل الغريب:

– إذا لم يكن هناك بد من أن تتكلم فلا بأس من أن تحدثني في أمور مجدية مثل تلك الألواح.

ورأى "ريك" أن اللوحين – اللذين كانا موضوع الاختبار– موضوعان بجانبه وقد بدا له أن اللوح الخاص بـ"توم" قد أصيب بشرخ ربما حدث عند ارتطامه بالأرض بينما كان لوح "ريك" سليما تماما.

قال الرجل الغريب:

– توهج الجزء الداخلي من اللوح المكسور بعض الوقت. هل هذا ما يجعل الموصلية المفرطة تعمل في درجة حرارة الحجرة؟ شيء ما بداخل اللوح ذاته؟

قال "ريك":

– وما الذي يفرض علي أن أخبرك؟

بدا ذلك الرجل له وكأنه لا يرى أدنى مشكلة في قتل الآدميين؛ لهذا إذا كان "ريك" يريد أن يظل على قيد الحياة مدة كافية– في انتظار محاولة إنقاذه مرة أخرى– فعليه أن يقنع الرجل بأنه ذو فائدة في هذا المجال. وقد يفي تظاهره بالعلم بأسرار الموصلية المفرطة التي توصل "توم" إليها من خلال أبحاثه بهذا الغرض. لذلك قال:

– هذا بالتأكيد ما لم تكن راغبا في عقد اتفاق معي.

أمسك الرجل "ريك" من عنقه ثم لفت رأسه بحيث استطاع النظر في عينيه.

– يبدو أنك لم تفهم الوضع بعد.

وغارت أصابعه الصلبة في جلد "ريك". استطرد الرجل قائلا:

– لست في وضع يسمح لك بالفصال. سوف تخبرنا بما نريد أن نعرفه

وهذا هو كل ما في الأمر.

كانت ثقة الرجل الهادئة أوقع أثرا من أية تهديدات مهما كانت. ترك "ريك" ثم أخرج مدية جيش سويسرية من جيبه قائلا:

– مثل هذه الأدوات قد تكون مجدية جدا إذا ما استخدمت قطعها بأسلوب إبداعي:

– ثم أخرج قطعة البريمة من الغمد قائلا:

– أريدك فقط أن تفكر لحظة فيما يمكن لهذه القطعة أن تفعله.... إذا ما ارتأيت استعمالها على وجهك.

كان سن البريمة على بعد بوصات معدودة من عين "ريك" اليسرى في اللحظة التي أضيئت فيها شاشة مركبة على اللوحة التي أمام الرجل الغريب. أسرع يخفي المدية بينما تكون شكل وجه على الشاشة. كان وجها طيب الملامح كاد أن ينطق بمشاعر الأبوة. دب الشيب في رأس ذلك الرجل ممتلئ الوجنتين. قال:

– إنني غير راض عما يجري يا "كوجار".

فأجابه الرجل الغريب ذو الزي الأسود:

– لقد اكتشف آل "سويفت" معسكر قاعدتنا بطريقة ما؛ لهذا اضطررت إلى أن أضع اللوحين والعينة المأخوذة من المسار والسجين على متن الطائرة وابتعدنا عن ذلك المكان.

تحولت العينان بالصورة إلى فتور قاتل:

– لم تفصل بينكم وبين الشرطة سوى قفزة واحدة. ليس هذا هو الأسلوب المفترض لعملي أو لعمل أعواني يا "كوجار".

– نعم يا سيدي.

– ويا "كوجار" لا تحاول المساس بالسجين. سأتوقع وصولكم إلى هنا في غضون ثلاث ساعات.

ولم يتحدث الرجل المدعو "كوجار" مع "ريك" على مدى ما تبقى من زمن الرحلة. لم يوجه إليه حتى نظرة أو هكذا ظن "ريك" حتى وقع بصره على الغطاء الزجاجي لركن الطيار. لم يكن "كوجار" ينظر إليه من الخلف فحسب بل كان يحدق إليه بحنق.

عندما هبطت الطائرة قابلتها سيارة ليموزين سوداء كتب على بابها كلمة "التقنية المتفردة". جلس "ريك" في المركبة الفاخرة ويداه موثقتان من خلفه وجلس "كوجار" بجواره. نظر "ريك" من خلال حاجب الريح الملون وتمكن من دراسة كل شيء وقع بصره عليه آملا في أن يتعرف على المكان الذي حمل إليه – أو في أن يهتدي إلى سبيل للفرار. علم أن الطائرة قد اتجهت شرقا ومن منظر الريف – ذي المزارع مترامية الأطراف التي حضنتها الجبال عن بعد – بدا له أنه في مكان ما من الشمال الشرقي ما بين شمالي ولاية "نيويورك" وولاية "مين".

مروا عبر مدينة صناعية صغيرة ثم توقفت السيارة عند حاجز بالطريق. رأى "ريك" بحيرة كبيرة إلى اليسار. أدخل السائق مفتاح بيانات في شق بشريحة خرسانية وانزلق الحاجز بعيدا عن الطريق.

تحدث "كوجار" للمرة الأولى منذ بضع ساعات:

– ألق خلف ظهرك بكل الآمال يا فتى؛ فقد دخلت لتوك عرين "التنين الأسود".

ساله "ريك":

– ما هذا الذي تقوله؟

تامل "كوجار" وجه الأسير الشاب لحظة ثم قال:

– ليست لديك فكرة عن أنك الآن في قبضة "التنين الأسود"؟

ثم هز رأسه مستطردا:

– في هذه الحالة من الممكن لما لا تدركه أن يؤذيك – وأغلب الظن أنه سوف يؤذيك.

سقط الحائل الفاصل ما بينهما وبين السائق فجأة ومد السائق يده إلى الخلف وبها شارتان حمراوان. ألقى "ريك" نظرة سريعة على ما كان أمام السيارة عن بعد – مصنع كبير – قبل أن يعود الحائل إلى موضعه.

ثبت "كوجار" إحدى الشارتين على جيب قميص "ريك" ثم ثبت الأخرى على قميصه هو. ساله "ريك":

– ما هذه؟

رمق "كوجار" "ريك" بابتسامة باهتة أخرى قائلا:

– قد تحميك من الصدمات الكهربائية. سوف ترى.

اخترقت السيارة نقطة تفتيش أخرى على هيئة جدار معدني مرتفع في هذه المرة ثم توقفت. فتح "كوجار" الباب وجذب "ريك" إلى الخارج. وقف "ريك" تحت أشعة الشمس يطرف بعينيه نحو المشهد الذي كان أمام عينيه. رأى في كل مكان نظر إليه مباني طويلة مسطحة بدت وكأنها متحفزة للقتال بصفوفها الأنيقة وشوارعها المتقاطعة.

ذكره تصميم هذا المكان بمجمع "سويفت" ببلده، لكن تلك المباني الحديثة–التي لابد أن كانت لامعة متألقة في يوم ما– بدت مكسوة بالسناج، وتقشر طلاؤها كما لو أن أحدا لم يهتم بصيانتها على مدى سنوات طويلة. وقد أضيفت إليها عناصر أخرى– جسور وأرصفة وسلالم منزلقة اتصلت بالطوابق العليا من المباني. لم تكن تلك الإضافات قبيحة فحسب لكنها بدت كأورام سرطانية نمت على جسد صحيح متناسق محولة المنظر العام المتميز بالتناسق والجمال إلى شيء غريب أقرب شبها بكثيب من النمل قبيح المنظر.

كانت هناك أعداد كبيرة من النمل أو بالأحرى من الكائنات الآلية تتجول مسرعة في تلك المنطقة. جميعها مطابق لتصميم أساسي طوله حوالي خمس أقدام، بدت قواعدها مثل ملامسات صهاريج صغيرة جدا وأجسامها دائرية، وكان في مكان الرأس جزء شبيه بمصباح كهربائي مركب به أجزاء شبيهة بقرون الاستشعار. وكان للعديد من هذه الكائنات الآلية أذرع تنتهي بأدوات معينة أضيفت إليها حتى يمكنها القيام بأعمال متباينة. رأى تلك الكائنات تجر شاحنات صغيرة بها قطع غيار أو تقود شاحنات أكبر حجما إلى أماكن الجماهير المحتشدة. ظلت تسرع من مبنى إلى آخر تنجز الأعمال المنوطة بها.

قال "كوجار" وهو يجذب "ريك" إلى الشارع – في طريق ذلك الحشد المسرع:

– هيا بنا.

من الغريب أن تلك الكائنات الآلية كانت تبتعد عنهما في حركتها المسرعة. فهم "ريك" أنه لابد أن يكون لتلك الشارة الحمراء دخل في

تحاشي تلك الآلات الاصطدام بهما. ألقى نظرة على السيارة الليموزين فرأى السائق يغادرها حاملا– تحت إبطه– لوحي "الركمجة". قال "كوجار":

– اصرف النظر عنهما. أصطحبك الآن إلى بيتك الجديد.

كان المبنى الصغير الذي صحب "ريك" إليه معزولا عن سائر المباني الأخرى على الرغم من أن تدفق الكائنات الآلية لم ينقطع في دورانها من حوله كما لو كانت حول كل شيء آخر. لم ير "ريك" شيئا يضاهيه من قبل حتى في منشآت "سويفت". أصابته هذه الفكرة بمثل الجمود من شدة الخوف.

وصلا إلى الباب الخلفي لذلك المبنى. ارتدى "كوجار" قفازا مطاطيا وأدخل مفتاح معلومات بشق ما لفتح الباب ،ودفع "ريك" إلى الداخل.

وجد "ريك" نفسه في حجرة خاوية لا أثاث فيها، كان أحد جدرانها نسخة أكبر حجما من تلك الشاشة التي كان قد رآها في الطائرة.

ضغط "كوجار" على زر استدعاء على جانب الشاشة وقال:

– إنه هنا.

أضاءت الشاشة على الفور وظهر عليها ذو الوجه الحاني الذي كان "ريك" قد رآه من قبل. وإذ كان الوجه أكبر حجما في هذه المرة لحظ "ريك" أثرا لقدر من الشفافية في الصورة فتساءل عما إذا كان "كوجار" مدركا أنه يتلقى تعليمات من مجرد صورة مرسلة بالكمبيوتر.

قال الوجه بصوت حان:

– حسنا. يبدو أنك قد وصلت بحالة جيدة. "كوجار" انزع هذه القيود وبوسعك أن تنصرف عقب ذلك.

هز "كوجار" كتفيه ثم نزع القيود الحديدية منتزعا معها شارة "ريك" قائلا:

– حتى أضمن عدم تعرضك للمرور.

ثم وضع ذلك القرص الأحمر اللامع في جيبه، وبيده المرتدية القفاز وضع المفتاح في الشق مرة أخرى ثم غادر الحجرة. لحظ "ريك" وجود قعقعة كهربائية في الهواء لحظة غلق الباب. قال الوجه مؤكدا لـ"ريك":

– سنحاول أن نوفر لك كل الراحة الممكنة. ستكون ضيفاعلينا لأيام قليلة فقط تشرح لنا خلالها بعض التفاصيل الفنية المتعلقة بهذين اللوحين مفرطي التوصيل.

قال "ريك" وهو يدلك الآثار الحمراء المؤلمة التي خلفها في معصميه القيدان الحديديان:

– تعني أنني ساكون سجينا عندكم.

ألقى بنظرة في أرجاء الحجرة فتبين أن كلتا النافذتين اللتين بهما بدون قضبان حديدية فيهما. فقال الوجه الذي على الشاشة:

– لو كنت مكانك لما فكرت في ذلك. مجال عالي الطاقة يحيط بالمبنى كله. لو حاولت مجرد لمس النافذة ستوفر منفذا لما لا يقل عن نصف مليون فولت.

قال "ريك":

– أشكرك على اهتمامك.

– والآن إلى العمل الذي أتينا بك من أجله..

– لا أتعامل إلا مع أناس حقيقيين يا سيدي "التنين الأسود".

ثم فرض "ريك" على نبرات صوته ثقة بالنفس لم يحسها بالفعل:

– لست إلا صورة مرسلة بالكمبيوتر.

كانت تلك الصورة واضحة للغاية. ارتفع حاجباها وبدت دهشة إلى حد بعيد:

– حسنا يا سيد "كانتويل". لك عينان في رأسك.

فقال "ريك":

– ولي عقل هنا أيضا. لو كنت تريد مني معلومات فساعقد معك صفقة. لكن بشرط أن نتحدث معا وجها لوجه.

ابتسم الوجه وأومأ:

– إنني على وشك البدء بتحليل اللوحين. عندما أنتهي من هذه العملية سوف نتحدث ثانية.

فقال "ريك" معترضا:

– لن أتحدث مع صورة مرسلة بالكمبيوتر.

سأله "التنين الأسود":

– حتى لو كان لهذه الصورة القدرة على أن تسدد لكمة؟

رفعت الصورة وقد بدت عليها علامات الحقد، فشعر "ريك" على أثر ذلك وكان شاحنة قد صدمته دافعة به إلى الجانب الآخر من الحجرة. حيث اصطدم بالجدار ثم احتوته ظلمة حالكة.

الفصل الحادي عشر

مرر "توم" كفيه فوق عينيه الساهدتين. أحس وكان جميع رمال الصحراء قد هبت عليهما على مدى الليلة التي قضاها في العمل. تثاءب ناظرا أمامه نحو زائر الصباح الباكر. بادره "دان كوستر" بقوله:

– أشعر بأنني متعب لأني قد نهضت مع أول ضوء الفجر حتى آتي إليك لكن الحال الذي تبدو عليه أنت... "توم" عزيزي– ألم تحصل على أي قدر من الراحة؟

أحاط "توم" علم "دان" بتفاصيل مكالمة "فراين" الهاتفية ومحاولتهم الأولى الفاشلة لإنقاذ "ريك". ثم قال:

– سوف أخلد للنوم بعض الوقت في الطائرة لأن "روب" بإمكانه أن يقودها – العاملون بمركز الكمبيوتر يقومون الآن ببرمجته بالقدرات وبالمهارات اللازمة لذلك.

فابتسم "ريك" قائلا:

– تخططون لرحلة سقوط.. أليس كذلك؟

ارتسمت على شفتي "توم" شبه ابتسامة وهو يقول:

– لو كنت مكانك لما ظننت ذلك.

– هل أنت واثق من أن "روب" يمكنه التعامل مع الطائرة بعدما أفقده "أورب" وعيه؟

– كل ما فعله به "أورب" كان أن أمره بأن يطفئ نفسه. وقد رأيت بنفسك كيف نهض وغادر المكان معنا بعدما عثرت على "أورب" بقصر القنابل وعلمت منه كل ما حدث.

كبح "توم" تثاؤبا آخر ثم مد يده إلى جيبه وأخرج منه شيئا يشبه إصبعا من حلوى النعناع.

– فحص "روب" جيدا كان هناك جزءا من عملي طوال الليلة الماضية.

سأله "دان" وهو يمد يده طلبا لقطعة من تلك الحلوى:

– ما هذه الضجة التي أسمعها عن استعمالك للروفر النفاثة؟

أوما "توم" واضعا واحدة من قطع الحلوى تلك في فمه:

– لا يا "دان" هذه ليست حلوى نعناع إنما هي شيء أتتني "ساندرا" به ليساعدني على أن أظل مستيقظا. صمم خصيصا من أجل كيمياء جسدي الحيوية– له مفعول قدح قهوة محمول مع خلوه لآثار الكافيين السلبية الجانبية.

ابتسم "دان":

– لا بأس. وأحب مع ذلك الكافيين في قهوتي. لكن ماذا عن الـ"روفر".

– طلب والدي إخراجها من مرابها للمساعدة على الاهتداء إلى مكان "ريك". لكن لظروف انفجار المبنى وما إلى ذلك لم تكن جاهزة لشن غارة على قاعدة "التنين الأسود".

كانت يداه على شكل قبضتين فوق منضدة المعمل:

– لو كنا قد توجهنا إلى هناك بالـ"روفر" لتمكنا ربما من الصعود فوق طائرته النفاثة السريعة وربما أمكننا أيضا حملها على الهبوط.

وضع "دان" يدا على كتف "توم" ثم قال:

– أعلم أنك تلوم نفسك على المأزق الذي فيه "ريك". لكنك بذلت ما بوسعك الآن لإنقاذه.

ثم نظر إلى كم الدوائر الكهربائية المعقدة الذي كان "توم" مشغولا بالعمل فيه قائلا:

– ماذا تفعل؟

فقال "توم":

– أقوم بتجميع عدد من المفاجآت لصديقنا "التنين الأسود" مادمت أنني سوف ألعب فوق أرضه سأكون بحاجة إلى كلّ حيلة يمكنني ابتكارها.

فتح باب المعمل ليكشف عن والد "توم" حاملا حقيبة خفيفة من نسيج

الخيام. قال الرجل:

– أعدت والدتك هذه الحقيبة من أجلك. جوارب نظيفة وأشياء أخرى. تعلم أنك مشغول ولكن...

تقدم "توم" من إحدى لوحات التحكم حيث ضغط على عدد من الأزرار قائلا:

– أمي؟

فظهرت صورة بالكمبيوتر لـ"ماري سويفت" في وسط المعمل.

– كنت أعتزم الاتصال بك هاتفيا قبل أن نغادر المكان لكن هكذا أفضل.

تقدمت السيدة الشقراء التي كانت عند منتصف العمر ولم تزل محتفظة بجمالها بمقدار خطوة نحوه قائلة:

– لم يكن هدفي من الاتصال بك هو مجرد الوداع وتمنياتي بحظ سعيد يا "توم" كنت أريد أن أحدثك أيضا عن "زافيار ميس".

التقطت نفسا عميقا دافعة إلى ما خلف أذنها بخصلة شعر:

– إنني أعرف هذا الرجل جيدا. ولك أن تصدق أو لا تصدق أنني كنت أواعده على مدى بضع سنوات قبل أن ألتقي بوالدك ونتزوج. إنه رجل خطير حاد الذكاء أريدك أن تذكر ذلك دائما.

ارتفع حاجبا "توم".

– هذا أمر من الصعب نسيانه يا أمي خاصة وأنه قد اختطف صديقي الحميم.

استطردت "ماري سويفت" تقول:

– قضيت الليلة الماضية أفكر في "زافيار" في محاولة لأن أهتدي إلى نصيحة أقدمها لك. وإليك أفضل ما يمكنني أن أنصحك به. كان دائما شديد الإعجاب بجرس صوته. لو تمكنت من أن تجعله مستمرا في الحديث ربما أمكنك إبطاؤه قليلا.

انتقلت نظرة "توم" من أمه إلى والده متسائلا عن أية مغامرات أخرى يكونان قد خاضاها ولا علم له بها، رمقته والدته بابتسامة قائلة:

– طلبت من والدك أن يحمل إليك طعام إفطار أيضا.

فقال السيد "سويفت" وهو يقدم إليه اللفافة الأخرى التي كان يحملها:

– هذا صحيح.

– أشكرك يا أبي وأشكرك يا أمي.

وتلاشت صورة السيدة "سويفت" تدريجيا ولم تزل الابتسامة على وجهها.

أخذ "توم" اللفافة من يد والده وأخرج منها شطيرة لحم بالبيض. أحاطه والده أثناء تناوله إياها ببعض الملاحظات التي كان ينبغي عليه مراعاتها في رحلته. قال:

– الحكومة مهتمة جدا بموضوع "زافيار ميس" رغم عدم توفر أية أدلة ضده. لديهم عميل في "ليك كربونا" تصادف أن يكون صديقا قديما لي اسمه "فيل رادنور" قضى، السنوات الخمس الماضية في مراقبة مجمع "ليك كربونا" وما يقوم "التنين الأسود" به فيها. إذا كان هناك من يمكنه مساعدتك على الدخول إلى هناك ثم الخروج ومعك "ريك" فهو "فيل". هو الذي أعد خطة طيرانك وسيكون بانتظارك هناك على الأرض.

أوما "توم" ثم قال:

– والـ"روفر" ما هي أخبار فحصها واختبارها؟

فقال السيد "سويفت":

– أثبتت الاختبارات تمام صلاحيتها كنفاثة وتتحول على أكمل وجه إلى صورتها كسيارة "روفر". يستغرق تحولها من طائرة إلى مركبة تسير على الأرض أقل من تسعين ثانية. وقد عملنا على تقوية أجهزة الاستشعار وأجهزة الدفاع بها.

أضفنا كذلك أداتي ليزر قويتين لإعطائك دفعة شرسة. إنهما متصلتان بكمبيوتر المعارك. ظللنا نعمل في تجهيز الطائرة طوال الليل ومن المقرر أن تكون معدة في غضون نصف الساعة.

قال "توم" ممسكا بذراع والده:

– هذه هي بداية هذه الرحلة تقريبا. أشكرك يا أبي. إنني مقدر حجم الجهود الذي بذلته في هذا العمل.

فقال "توم سويفت" الوالد وقد بدا على وجهه الوجوم:

– السؤال هو هل سيكون كافيا؟

*****

عندما أفاق "ريك كانتويل" وجد نفسه ملقى في الظلام فوق أرضية خرسانية باردة. دفع نفسه كي ينهض وقد أحس بصداع شديد في رأسه وارتعشت ذراعاه. "لكمة". لقد وجه "التنين الأسود" إليه شحنة كبيرة من الكهرباء كانت كافية لأن تقذف به إلى الجدار وتفقده الوعي.

تجول "ريك" في الحجرة بهدف تليين عضلاته المتصلبة. توقف عند إحدى النافذتين. رأى أن المساء قد حل. لكن حركة الكائنات الآلية لم تتوقف. لحظ "ريك" أيضا أنه لم يكن هناك ضوء بأي من تلك الأبنية التي تمكن من رؤيتها لكنه تذكر أن الكائنات الآلية ربما لا تحتاج إلى ضوء. قال محدثا نفسه: إنني أتعامل مع تنين عالي القدرات في مجال استخدام الطاقة. وتنين غير مبال أيضا. كم من الوقت يمكنه أن يماطل هذا المخلوق بما لديه من معلومات محدودة للغاية؟ عليه أن يبذل كل ما بوسعه حتى يأتي "توم" إليه وينقذه.

دفعه ذكر "توم" إلى التفكير فيما كان عساه أن يفعل لو كان في مأزق كهذا. رأى أن أول شيء كان سيفعله هو البحث في سجنه حتى يرى ما يمكنه استخدامه للخروج منه.

وكان ذلك سهلا للغاية. فلم يكن بالحجرة ما كان يمكنه استعماله ما لم يحاول عمل فتحة بالجدار بيديه وحدهما. كانت شاشة الرؤية ثابتة فوق الجدار. وحتى في الظلام لم ير أي شيء غيرها بالحجرة.

تحسس طريقه حول الجدران يضرب عليها برفق أملا في الاهتداء إلى أماكن جوفاء أو مواضع ضعيفة. لكنه لم يجد شيئا كهذا. بدأ يضرب على أرضية الحجرة أيضا ولكنه تبين أنها صلدة إلى حد مثير للأشجان. اهتدى "ريك" إلى بقعة خشنة بأحد أركان الحجرة وانتظر حتى ألقت المصابيح الأمامية لإحدى الشاحنات بشعاع ضوء إلى الداخل.

تبين أنها رسالة محفورة بيد طفل عندما كانت الخرسانة لاتزال لينة.

قراها "ريك" متحيرا أمام هذه المصادفة: "توم سويفت" كان هنا. وكان أدنى هذه الكلمات تاريخا يرجع إلى اثنتي عشرة سنة سابقة. قال "ريك":

– من المؤسف أنك لست هنا الآن يا "توم". لا. لم يكن يعني ذلك. فهو لم يتمن لألد أعدائه أن يكون في مثل هذا المأزق. فناهيك عن أعز أصدقائه.

فتح الباب من خلف "ريك":

– لن تعيش طويلا مادمت قد بدأت بالفعل التطلع إلى الجدران.

حملت نبرات صوت "كوجار" ذلك التأكيد الموحي بأنه رجل عايش الكثير من جدران السجون. استطرد "كوجار" قائلا:

– انهض أيها الغلام. الرئيس الأعلى يريد أن يتحدث معك.

توجه "ريك" نحو الباب المفتوح وظل واقفا بهدوء بينما كان "كوجار" يثبت واحدا من تلك الشعارات الحمراء البراقة بقميصه. كان مفعول المجال الإلكتروني مبطلا. فكر "ريك" لحظة في مهاجمة "كوجار" والفرار. لكن سرعان ما توجهت نظرات عيني الرجل الباهتتين إلى عيني "ريك" رأسا. قال:

– لا تحاول مجرد التفكير في ذلك يا غلام. لو حاولت أن تقوم بأدنى حركة تجاهي فسوف أمتعك بأسلوبي الخاص. والآن وحيث إنني مكلف بإحضارك إلى حضرة "التنين الأسود" ينبغي أن تكون قادرا على المشي وهذا ما يعني أنني سوف أكون مضطرا إلى أن أكسر ذراعك.

وارتسمت على وجه "كوجار" واحدة أخرى من ابتساماته الباهتة:

– وعندما نعود سأكسر لك ساقا حتى تكف عن التفكير في الهرب.

تبع "ريك" آسره في صمت إلى خارج الباب.

استمرت حركة المرور المحمومة بالشوارع المظلمة بالخارج، بينما أسرعت الكائنات الآلية تنجز أعمالها بنشاط نادر. لكن على الرغم من اقترابها منهما كانت دائما تبتعد مسرعة عن الشعارات الحمراء.

تقدمه "كوجار" إلى أحد أبنية المعامل الذي لم تتم تعليته بحيث يتسع للقوة العاملة الآلية. لحظ "ريك" أن ضوءا خافتا قد ظهر بالنوافذ أيضا.

أدخل الحارس ذو الزي الأسود مفتاح معلومات في شق بهيكل الباب، ثم

أشار لـ"ريك" بالدخول عندما فتح الباب. كانت تلك الحجرة أكبر مساحة بكثير من سجن "ريك". ألقى ضوء كشاف موجه من السقف بقعة ضوء على مشهد صغير غريب فوق أرضية الحجرة. رأى "ريك" مئات الجنود الدقيقة التي كادت أن تؤلف جيشا كامل التجهيز بسياراته الجيب ودباباته.

تبين بعد ذلك أن الجيش كان موضوعا فوق شيء بيضاوي الشكل ذي لونين. كان جزء من ذلك البيضاوي يتألف من شرائط وأجزاء من معجون بني ضمت معا باستعمال شريط عازل ما.

– ما من شك في أنك قد تعرفت على ما استخدم في تحضير هذه التركيبة.

التفت "ريك" نحو الصوت فرأى "التنين الأسود" خارجا من الظلال:

– استخدمنا قطعا من العينة التي أخذناها من المسار –الذي كان بالموقع– الذي قمت فيه أنت و"توم سويفت" بإجراء تجربتكما المشؤومة.

هز "التنين الأسود" رأسه تعبيرا عن شديد إعجابه ثم قال:

– كيف أمكنكما التوصل إلى كهربة السيراميك ذاته؟ تسربت الشحنة إلى خارجه عندما فصلنا القطعة لإجراء التجارب عليها. لكن التحليل الذي أجريته أثار العديد من الاستفسارات الجديرة بالاعتبار.

ثم نظر إلى "ريك" رافعا حاجبيه في انتظار أن يقول شيئا.

– الأحرى بي أن أطرح أنا أيضا بعض الأسئلة عن رجل يلعب بجنود صغيرة من صنعه.

تقدم "كوجار" نحوه بمقدار خطوة من موقعه بالقرب من الباب لكن "التنين الأسود" لوح إليه بالعودة إلى حيث كان.

– استدعيتك إلى هنا لسببين: أولهما حتى تتحدث معي وجها لوجه كطلبك، وثاني هذين السببين هو هذه التجربة التي يمكن القول إنها اختبار لنماذج القياس.

مد العالم يده إلى جيب ثيابه القاتمة وأخرج عددا من الكريات الفضية، حجم كل منها في مثل حجم البلية قائلا:

– بداخل هذه توجد قطع من لوح "الركمجة" المكسور – مدهشة.

سمع "ريك" صوت طنين مولد كهربائي قريب ثم قذف "التنين الأسود" بالكريات فوق المسار صغير النطاق فطفت الكريات إلى ارتفاع بضع بوصات فوق سطح الموصلية المفرطة مثل نسخ متناهية الصغر من لوح "الركمجة" ذاته.

– لقد استخدم "توم سويفت" هذه المادة المبتكرة في صنع لعبة.

– لكنني سوف أريك كيف يمكن أن تكون أداة.

أخرج "التنين الأسود" أداة تحكم شبيهة بذراع التحكم بسيطة شبيهة بتلك المستخدمة في التعامل مع الألعاب الإلكترونية، وأخذ يحرك البليات الطائرة بين صفوف الجنود الصغيرة. أخذت الكريات تنقض على صفوف المقاتلين البلاستيكيين وتسقطهم إلى الأرض.

– لك أن تتصور مدى المبالغ التي يكون قادة الجيوش على استعداد لدفعها ثمنا لجيوش من الكائنات الآلية التي لها القدرة على الطيران إلى صفوف جنود الأعداء حاملة أسلحة نارية آلية أو ربما الغازات المتلفة للأعصاب أو حتى...

كان الجيش البلاستيكي بأسره قد سقط على الأرض. قام بتحريك البليات الطائرة بحيث حلقت من فوق إحدى الدبابات ثم ضغط على أحد الأزرار أعلى ذراع التحكم؛ انفجرت البليات تاركة الدبابة حطاما لا شكل له.

– إذا ما تم ملؤها بالمتفجرات فستكون السلاح الأمثل في ميدان القتال.

فقال "ريك" مبهورا:

– أو في مقاومة الإرهابيين. مادام أمكنك تحريك هدفك بحيث يكون أعلى كهرومغناطيس عملاقا.

قال "التنين الأسود":

– بدأت إدارة أبحاثي بالفعل تذليل هذه العقبة. وسوف نتوصل– آجلا كان أم عاجلا من خلال المنتج النهائي –إلى وسيلة إنتاجه لكن بوسعك أن توفر علينا العملية الهندسية العكسية.

أصبح صوت العالم أكثر إلحاحا.

– كيف تم تصنيع البللورات القابلة للشحن التي ضمنها "توم سويفت"

سيراميك "تشو"؟

علم "ريك" أن اللحظة قد حلت. قال محاولا – بكل قوته– أن يتذكر وصف "توم" لتلك البللورات:

– إنها إحدى تلك العمليات التي تكون الذرة فيها مغلفة بالجزيء أي تكون محتبسة بداخل.. بداخل...

– أعتقد أنك تعني بداخل شبكية.

بدا الإحساس بخيبة الأمل واضحا في نبرات صوت "التنين الأسود":

– أعتقد أيضا أنك لست ملما بالمعلومة الفنية التي أنا بحاجة إليها. إنه سوء حظ. ربما أنني مضطر إلى الانتظار إلى حين أن يكتشف الجاسوس الآخر – الذي لم يكتشفوا أمره بعد – سر هذه العملية. والأمر ينطوي على حظ أسوأ بكثير بالنسبة إليك؛ لأنك لست بذي جدوى لي.

تقدم "كوجار" منه بشغف لكن "التنين الأسود" منعه من الاقتراب من "ريك" بأن رفع يده.

– من المؤكد أنه ينبغي أن تظل سليما كرهينة لدينا تحسبا لأن يحاول "توم سويفت" أي تحرك ضدي. خذه إلى زنزانته يا "كوجار".

تقدم الرجل ذو الزي الأسود ليقبض على ذراع "ريك" مستشعرا خيبة أمل مخاطبه العالم قائلا:

– لكن لا حاجة لك بأن تكون مهذبا معه جدا.

الفصل الثاني عشر

دوى صوت "روب" في أذن "توم سويفت":

– "توم".

فتح "توم" عينيه عن غير رضا ليواجه بلوحة تحكم الـ"روفر".

التفت إلى مقعد مساعد الربان حيث جلس "روب" إلى جهاز القيادة. كان ذلك المقعد قد عدل خصيصا حتى يناسب ضخامة بنية الإنسان الآلي، لكن منظر ذراع التحكم فوق الصوتي بالنفاثة –والذي كاد أن يختفي تماما بداخل تلك اليدين الكبيرتين– كان مثيرا للضحك. قال

"روب":

– لقد مررنا بـ"سكرانتون بنسلفانيا" الآن. حان وقت خفض السرعة للهبوط. تصورت أنك تريد أن يكون الهبوط من خلال تحكم يدوي.

قال "توم":

– حسنا يا "روب". سأتولى القيادة نيابة عنك.

جذب الخانق مخفضا سرعة الطائرة إلى ٥٠٠ ميل في الساعة. أراد ألا يتجاوز جهة الوصول وهي المنطقة العسكرية القريبة من الجبال الخضراء في "فيرمونت".

نظرة من قمرة الطيار أوضحت أن الضباب يكسو الأرض من تحته، لكن شاشة الكمبيوتر التي بوسط لوحة التحكم نقلت له صورة مفصلة ثلاثية الأبعاد للمنطقة التي كان يحلق فوقها. تشاءب "توم". كان قد ترك أمر القيادة لـ"روب" بمجرد أن ارتفعت الطائرة في الهواء واستسلم للنوم. لكنه لم ينم سوى فترة وجيزة جدا إذ استغرقت الرحلة من الساحل إلى الساحل الآخر حوالي ساعتين عن الزمن الماضي؟

لم تمض لحظات حتى كان مارا بسرعة فوق بحيرة "تشامبلين" في طريقه إلى مدرجة الهبوط والإقلاع بالمنطقة العسكرية.

كان الهبوط سلسا ووجه الطائرة إلى إحدى الحظائر بالغة الأمان.

وقف عند مدخل الحظيرة رجل قوي البنية أحمر الوجه أشيب الشعر – "فيل رادنور". عندما رأى الطائرة تتقدم نحوه فتح باب الحظيرة موجها "توم" إلى الداخل. أوقف "توم" المحركات وأغلق "رادنور" الباب.

قال مخاطبا "توم" بصوت عال:

– نحن في أمان تام هنا. لا نوافذ ولا أجهزة تنصت ولا أحد يتدخل. هذا هو أفضل مكان لتحويل الطائرة إلى شكلها الـ"روفر" العادي.

قال "توم":

– سمعت الرجل يا "روب". استعد للتحويل.

قاما بمراجعة سريعة لقائمة الخطوات ثم ضغط "توم" على مفاتيح شفرة التحويل بلوحة مفاتيح الكمبيوتر فبدأ البرنامج عمله وبدأ شكل الطائرة يتغير.

كانت الـ"روفر" وهي على شكل طائرة أنيقة لكنها اتخذت شكل حرف "V" قصير وغليظ مع محركين وجناحين مثلثين. بدأت المقدمة فوق الصوتية الحادة تتدلى الآن عندما سحبت قضبان البناء الفوقي إلى داخل جسم المركبة. وسحب الجلد المصنوع من الألياف الكربونية إلى داخل حوزة تحت الخوف. انفصل الجناحان حيث تارجحا فوق وتحت المحركين والغطاء الشفاف لركن الطيار مثل صدفة البطلينوس مما أضفى على المركبة أكثر من مجرد شكل سيارة. كانت مادة الأجنحة الواقية هي الصلب السيراميكي المصفح المقاوم للتعرض إلى أشعة الليزر على مدى خمس دقائق كاملة.

تراجعت آلية الهبوط إلى داخل الجسم بينما اندفع زوجان من الإطارات إلى خارج حوف المركبة. عندما تم التحويل بدت الـ"روفر" وكأنها قد انكمشت بداخل نفسها. تحولت كذلك إلى مركبة تضارع دبابة في قوتها مع عظم سرعتها وسهولة قيادتها. تسير بقوة زوج من المحركات التوربينية النفاثة. هز "فيل رادنور" رأسه قائلا:

– رأيت أفلاما سينمائية تصور مثل هذه التحولات أما رؤيتها على الطبيعة فشيء مذهل بحق. لدينا مساحة كافية لأن نتركها هنا، وتصريحا بتخزين الطائرة في هذه الحظيرة المغلقة المقفلة. ومعلومات السلطات هنا هي أننا أنزلنا الـ"روفر" من فوق متن الطائرة التي هبطت هنا.

سأل "روب":

– ولو نظروا إلى داخل الحظيرة ولم يجدوا طائرة ألن يتشككوا في الأمر؟

نظر "فيل رادنور" إلى الإنسان الآلي:

– لهذا السبب سيتم إقفال الحظيرة.

ضغط "توم" أرقام الشفرة التي تفتح درع صدفة البطلينوس وتسمح لـ"رادنور" بالدخول من خلال باب المركبة. نهض وصافح الرجل الأكبر سنا قائلا:

– تشرفت بلقائك يا سيد "رادنور". بصفتك الخبير المقيم فيما يتعلق بمراقبة "التنين الأسود" علمت أنك على ثقة بما تفعله عندما وجهت مرورنا في الجو. لكن هل يضايقك أن تخبرني بسبب طلبك أن نهبط على مسافة

ساعتين بالسيارة من "ليك كرلويا"؟

فقال "فيل":

– "زاڤيار ميس" يولي اهتماما خاصا بجميع أنواع الطيران المحلق فوق أراضيه أو الذي يهبط بالقرب منها. يراقبه بعناية ويمسحه بأجهزة استشعاره خاصة وأن لديه حشدا من الجواسيس في جميع المطارات المحلية. لهذه المنطقة العسكرية العديد من ممرات الإقلاع والهبوط السرية، وآمل أن تكون هذه المنطقة بعيدة بقدر كاف عن ممتلكات "التنين الأسود" بحيث لا يكون لديه الكثير ممن يبلغونه بما يجري هنا.

أومأ "توم" قائلا:

– معقول جدا.

– إنني آسف أن أخبرك.. لكن الرحلة إلى "ليك كرلويا" تستغرق أكثر من ساعتين.

وأخرج "فيل" قرص كمبيوتر من جيبه مستطردا:

– قمت ببرمجة هذا المسار من أجل كمبيوتر سيارتك. فهو يجتنب جميع الخطوط الرئيسية ويحملنا إلى شوارع تتمتع بأقصى قدر من الحماية من المراقبة من الجو – وأدنى قدر من فرص أن يرانا أحد على الأرض. سوف نسلك الطرق القديمة المهدمة والدروب المهجورة وفي بعض الأماكن سنسير في مجاري مياه ضحلة. ربما تظنني متخوفا جدا لكنني ظللت أشن هجمات على "التنين الأسود" منذ خمس سنوات ولا أزال على قيد الحياة وأتحدث عن ذلك.

فقال "توم":

– إنك قدير وسوف نتصرف وفقا لتوجيهاتك.

ذكر "فيل" أثناء السير في أحد الطرق المتعرجة شيئا عن الـ[illegible]ات التي طرأت على مجمع "ليك كرلويا" قال:

– لقد حولها "ميس" إلى قلعة بحتة. تجد فيها الشراك الكهربائية العابثة وبطاريات الليزر والحراس البشريين المسلحين.

هز "توم" رأسه:

– من المؤكد أنها لم تصبح شبيهة بالمكان الذي نشأت فيه.

– إطلاقا. وما أتمناه هو ألا تصاب بالذهول عندما تراه.

طلب "فيل" التوقف عند حافة الغابة في أقرب بقعة مما أسماه كوخ استيداعه على الجانب المقابل من أحد الجبال المطلة على عرين "التنين الأسود". قال:

– ما يعلمه الجميع هو أنني قد أحلت إلى الاستيداع من وظيفتي كمدير للمصانع بعدما قامت مؤسسة "يونيتيك" أو التقنية المتفردة بشراء المكان. كان هذا هو الستار الذي أعمل في حمايته وإن كان "ميس" يكلف من يراقبون تحركاتي بين الحين والحين.

سار عبر بقعة صغيرة خالية من الأشجار أمام الكوخ المتواضع الذي دخله بعد ذلك للاطمئنان على سلامة جهاز الأمن بداخله. غادر الكوخ بعد ذلك قائلا: إن الطريق آمن تماما ثم فتح باب المرأب.

كان هذا المرأب هو أهم جزء في هذه الملكية إذ كان مشيدا بداخل جزء من الجانب المنحدر للتل. وعند دخول الـ"روڤر" ارتفع الجدار الخلفي إلى أعلى ليكشف عن نفق كهفي.

بعدما غادر "توم" و"روب" المركبة قال "فيل" شارحا:

– شيدت هذه الرقعة لتستضيف طائرة مروحية إذا مالزم الأمر ذلك. لهذا لا مشكلة في تخزين الـ"روڤر" بها. ومع ذلك سيبدأ من هنا مشوار السير على الأقدام.

ساروا في ذلك النفق الذي بدأ يرتفع إلى أعلى تدريجيا على نحو منحدر ثم بدأ يتعرج وتحول في نهاية الأمر إلى مجموعة درجات.

كان "توم" يلهث بوقت وصولهم إلى القمة. قال:

– حسنا. علمت الآن سبب احتفاظك بلياقتك البدنية. لكن ألا ترى أن استخدام مصعد يتيح سهولة أكبر؟

انفجر "فيل" قائلا:

– لا مجال لذلك. ليس على هذا الجانب من الجبل على الأقل.

ثم تأمل "توم" طويلا قبل أن يستطرد قائلا:

– لابد أنك قد غادرت "كاليفورنيا" متعجلا جدا. دون أن يخبرك أحد بما هنا.

فقال "توم":

– وما هو الذي هنا؟

فقال "فيل رادنور":

– احتملني دقيقة أخرى. سوف ترى بنفسك.

ساروا في نفق ضيق انتهى عند نقطة مراقبة الحكومة تحركات "التنين الأسود". فتح "رادنور" بابا خشبيا، وأشعل عود ثقاب، أشعل منه فانوسا يعمل بالكيروسين.

– ماذا؟!

ذهل "توم" إذ رأى ذلك المشهد. كان يتوقع أن يرى لوحات تحكم وأجهزة رقابة بالغة الحساسية وأحدث ما وصلت إليه تقنيات المراقبة والتجسس. رأى بدلا من ذلك عددا من الكاميرات وتليسكوبا عينيا عملاقا.

قال "فيل" مفسرا الوضع:

– "زافيار ميس" رجل شديد الحذر وقاعدته تذخر بأجهزة الاستشعار التي تحمي موقعه من أية مراقبة إلكترونية محتملة. كان علينا أن نلجأ إلى حيلة ما تخلصنا من هذه الآليات وكانت هذه التقنية المتواضعة. لا يوجد هنا أي شيء كهربائي على الإطلاق يمكن لأجهزته اكتشافه، وفي الواقع أفضل أن يذهب إنسانك الآلي إلى عمق أكبر بيطن الجبل الآن.

أصدر "توم" الأمر وتراجع الإنسان الآلي إلى عمق النفق. قال "توم":

– أفهم الآن سبب عدم استخدامك مصعدا. كان محركه الكهربائي سيعد أكبر فاضح للأمر.

قال "فيل":

– المعدة الكهربائية الوحيدة التي لدي هناك عند المنزل ويفصل بينها وبين أجهزة استشعار "ميس" الجبل كله.

نظر "توم" إلى بلد العجائب ذات التقنية المتأخرة. وهز رأسه قائلا:

– تعلم.. هذا هو نوع المعدات التي من الممكن أن يكون جدي قد استخدمها.

سأل "فيل":

– تريد أن تلقي نظرة على المجمع؟

ثم سار إلى التليسكوب حيث ضبط العدسة ثم ابتعد عن العدسة العينية مفسحا الطريق لـ"توم".

نظر "توم" في العدسة فوجد نفسه ينظر إلى أسفل جانب الجبل المنحدر المكسو بأشجار الغابات ومنه إلى مجمع "سويفت" القديم مباشرة. كانت بعض فروع الأشجار قد قطعت على نحو مدروس بحيث تتيح رؤية كاملة للناظر.

كبحت أنفاس "توم" في حلقه. كانت ذكرياته عن ذلك المصنع البراق المرح وعن كل منطقة "ليك كرلوبا" أقرب إلى الفردوس كما كان يتصوره. أما الآن فكانت مشاهدة المكان من خلال التليسكوب أقرب إلى مشاهدة صديق طفولة حميم وقد أصابه مرض فظيع شوه ملامحه.

بدا له أن سحابة زيتية سوداء كانت تخيم على المباني القذرة ورأى كائنات آلية –كادت أن تكون متطابقة في أشكالها تماما– تتحرك مسرعة هنا وهناك في الشوارع على غير هدى تقريبا.

قال "توم":

– ذكرت لي أن المكان يعمل آليا بالكامل باستثناء أفراد الحراسة. كنت أتوقع أن أرى تلك الكائنات الآلية تسير في صفوف منتظمة – ليس على هذا النحو الشبيه بحركة النمل.

ارتعد وهو يدلك قفا عنقه المتعب المتألم ثم أضاف:

– من قام بهذا التصميم أيا كان فهو شخص مريض العقل.

سأله "فيل رادنور":

– السؤال الآن: ما الذي تعتزم القيام به حيال ذلك؟

رفع "توم سويفت" كتفيه قائلا:

– سوف أقف أمام التليسكوب أراقب ما يجري بينما تحيطني بكل ما تعلمه عن الحراس وعن الوسائل الدفاعية التي هناك.

ثم تثاءب "توم" قائلا:

– ثم أنام قليلا بينما تقود أنت عملية المراقبة أملا في الاهتداء إلى مكان "ريك".

ثم التفت "توم" مواجها "رادنور" ليستطرد قائلا:

– لأن في هذه الليلة –في وقت ما بعد حلول الظلام – سوف نتوجه إلى هناك.

الفصل الثالث عشر

– صيد ثمين يا "فيل" أن يقع بصرك على الإنسان الآلي حاملا طعاما إلى مبنى المعمل القديم هذا.

قام "توم" بتثبيت صورة للموقع على الجدار. قال:

– لابد أنهم يحتجزون "ريك" هناك. سيكون هذا الموقع هو هدفنا الأول إذن.

وضرب بإصبعه على خريطة مجمع "التنين الأسود" محددا الموقع المستهدف.

– ليس لدينا وقت نضيعه في خطط خيالية. سوف نسلك أكثر الطرق استقامة وسوف ندخل ونأخذ "ريك". ونغادر الموقع بأسرع ما يمكننا. وما لم يبد أحد منكما اعتراضا وجيها فسوف نبدأ مشوارنا بعد استعداد أخير.

فتح "توم" صمام آلة الرش فامتلأ المراب بضباب ضارب إلى الاخضرار استقر فوق "روب" و"فيل رادنور" و"توم" كما استقر على كل شيء آخر بهذا المكان الذي اتخذوا منه قاعدة للانطلاق. لم يأبه "توم" بالإضرار باي شيء من محتويات المكان فلم يكن سوى محطة خدمة مهجورة على بعد نصف ميل من بوابة "يونيتيك" الرئيسية. تذكر "توم" هذا المكان أيام طفولته بأنه كان رحبا مزدحما طوال الوقت. أما الآن فأصبح حطاما.

قعقع صوت "فيل" في سماعات أذني "توم" متسائلا:

– ماذا من المفترض أن يكون دور هذه المادة؟

كان "رادنور" –مثل "توم" – قد ارتدى زي رواد الفضاء المكون من حلة سوداء من الـ"كفلار" والـ"نوميكس" وغطاء رأس. زود "توم" تلك الخوذات بمناظير فوق حمراء. وكان هذا الزي مقاوما للرصاص وللنار وللغازات. بدا

"توم" وهو واقف بجانب "روب" وسط تلك السحابة الخضراء وكانه إحدى شخصيات أفلام الخيال العلمي. قال وهو يضع مزيدا من الضباب فوقهم:

– إنني رششت بمادة بلاستيكية غير موصلة للكهرباء، كنت قد صنعتها لاستخدامها كعازل للموصّلية المفرطة – لكن من الممكن لها أيضا أن تعزلنا عن أي من شراك "التنين الأسود" الكهربائية العابثة.

أمسك "فيل" بجهاز الرش واستخدمه فوق "توم" بالكامل، بحيث إنهم عندما عادوا إلى الـ"روفر" لم يبد عليهم أي اختلاف باستثناء أن جسم "روب" اللامع دائما أطفئ لمعانه.

اتخذوا أماكنهم بداخل المركبة– جلس "فيل" خلف عجلة القيادة واتخذ "روب" وضع تشغيل أجهزة الاستشعار وكان "توم" أمام لوحة القتال – ثم انطلقوا قاصدين عرين "التنين الأسود". قال "فيل":

– تعلم.. لن يكون هذا هجوما مفاجئا. لانه لابد أن يكون "التنين الأسود" متوقعا منك أن تقوم بمحاولة إنقاذ. سيكون مترقبا وصولك.

فقال "توم" مشيرا إلى الصورة التي ظهرت على شاشة الكمبيوتر:

– إنه مترقب بالفعل.

حلق طائر ما حول المركبة متخذا ذات سرعتها. قال "توم":

– عادة ما لا تطير الغربان ليلا. لنحاول شيئا ما.

ضغط زرا بلوحة القتال فطاف الغراب حولهم برشاقة مرة أخرى ثم ارتطم بإحدى الأشجار. قال "توم":

– كان هذا الطائر آلة تصوير وإرسال محرفة. أفسدت جميع أجهزتها اللاسلكية.

انعطفوا مع الطريق بدون أضواء لكن الصورة المرسلة للكمبيوتر أوضحت لهم أن المجمع كان على بعد يقل عن ميل واحد.

قال "فيل" وهو يقلل من سرعة المركبة:

– أول نقاط التفتيش.

توقفوا أمام دعامة خرسانية رأسية بها شق صغير. كان على كلا جانبي الدعامة سياج سلاسل تعلوه الأسلاك الشائكة يوضح الحدود مع العالم الخارجي. وواجهتهم بوابة كبيرة تسد مدخل الطريق. سمعوا صوتا

ميكانيكيا يقول من داخل الشق:

– بطاقة الهوية.

– نعم.

ومد "توم" يده إلى الحقيبة المصنوعة من نسيج الخيام حيث أخرج منها قرصا أبيض اللون في مثل حجم الدولار الفضي، فتح باب المركبة بقدر طفيف وقذف بالقرص إلى داخل الشق الخرساني . تصاعد من الشق شرر أزرق ودخان أبيض ثم فتحت البوابة ودخلوا من خلالها.

كانت هناك نقطة تفتيش أخرى على بعد حوالي خمسين ياردة. قال "فيل" محذرا:

– بهذه النقطة حراس بشريون. قد يغضبهم أن يروا هذه المركبة الشبيهة بالدبابة تدخل الموقع.

خرج من حقيبة حيل "توم" جهاز صغير في حجم ثمرة الفول السوداني. لوى النصف العلوي منها في اتجاه والنصف السفلي في اتجاه آخر وألقى بها خارج الباب. انطلق من ذلك الجهاز أنين عالي النبرة سمعوه بصعوبة من خلال المرشحات المصنعة خصيصا والتي زودت خوذاتهم بها.

سمعه الحراس بالتأكيد فوضعوا أيديهم فوق آذانهم ومع ذلك هاجمت الذبذبات آذانهم ومخاخهم. لم تمض لحظات معدودة حتى سقط الرجال على الأرض مصابين بحالة شلل مؤقتة.

غادر "روب" المركبة حيث توجه إلى مقصورة الحراسة وجذب رافعة التحكم؛ فتحت البوابة على مصراعيها بينما قفز "روب" إلى داخل المركبة.

قال "فيل" ضاغطا على بدال الوقود:

– نحن الآن في منطقة الليزر المطلق النيران.

وقف الجدار المحيط بـ"يونيتيك" أو التقنية المتفردة على بعد مائة ياردة منهم. ارتفع بعد كل مسافة مقدارها خمسون ياردة صار أعلى الجدار مركب به مابدا مثل آلة رصد وتصوير. كان "فيل" قد أخبر "توم" بأن الصناديق المستطيلة الكبيرة كانت مدافع تعمل بالليزر.

تحرك جهاز الليزر الأقرب إلى الـ"روفر" نحوها وأطلق قذيفة ضوئية

ارتفعت درجة حرارة المركبة على نحو ملحوظ لكن الدرع المصفح ظل صامدا.

قال "فيل" مليا على الإطارات السير بسرعة أكبر:

– علينا أن نصل إلى الجدار قبل أن نصاب بقذيفة ثانية.

فقال "روب" محذرا:

– تشير أجهزة الاستشعار إلى موجة قوة تتزايد من تحتنا.

حاول "فيل" الانحراف جانبا لكن قذيفة اللغم الإلكتروني أصابت الـ"روفر" مع ذلك.

طارت المركبة في الهواء لتستقر بزاوية حادة قاذفة بـ"توم" إلى الخلف بحيث ارتطم بمسند الرأس. أما "روب" –الذي لم يكن مشبتا إلى المقعد بحزام الأمان– فاصطدم بالجدار بقوة كفيلة بأن تقتل آدميا.

قال "توم" وكان من الممكن أن يقسم بأنه قد سمع أنين "روب".

– إصابة أخرى.

قام "فيل" بتليين الإطارات. سمعوها تدور حول نفسها لكن السيارة لم تتحرك. قال:

– وقعنا في متاعب.

طلقة ضوئية أخرى من ذلك المدفع رفعت حرارة المركبة تماما. قال "توم":

– "روب". أعطني فارق الزمن بين طلقتي الليزر. كم من الزمن تستغرق إعادة شحن المدفع؟

وبينما كان "توم" يتحدث كان في ذات الوقت يرد على الهجوم بتحريك عدد من الشعيرات المتقاطعة عبر شاشة لوحة القتال باستخدام ذراع التحكم. ضغط على الزر أعلى الذراع وقام جهاز كمبيوتر التحكم في النيران بكل العمل المطلوب.

صدت مدفعية الليزر المركبة بمقدم السيارة أسلحة "التنين الأسود".

أطلق الليزر المتبقي عليهم قذيفة أخرى. قال "روب":

– ثلاثون ثانية هو زمن إعادة الشحن. لا يمكننا احتمال مزيد من هذه الطلقات. تشير أجهزة الاستشعار إلى أن أجزاء من الدرع على وشك

الانصهار.

وضع "توم" قذيفة متفجرة في يد "روب" وسأله:

– تعتقد أنه يمكنك الوصول إلى ذلك الجدار في عشرين ثانية؟

كان "روب" قد غادر باب المركبة قبل أن يكمل "توم" سؤاله. انطلق بسرعة مذهلة عبر مجال إطلاق النار وعندما وصل إلى الجدار قفز في الهواء رافعا ذراعيه مثل لاعب كرة سلة يريد ان يحرز هدفا. قدح القذيفة وألقى بها على قاعدة صاري الليزر في اللحظة التي تحركت فوهة المدفع فيها إلى أسفل لتصوب قذيفتها إليه.

قبل الموعد المحدد بثانيتين انفجرت القذيفة ممزقة فتحة في الجدار بينما سقط صاري الليزر من خلفه مثل شجرة مقتلعة.

قال "توم" في مكبر صوته بينما أسرع الإنسان الآلي عائدا إلى مكانه بالمركبة.

– إنجاز عظيم يا "روب". والآن أعطنا دفعة حتى تتلامس الإطارات مع الأرض.

أحسوا بالمركبة تهتز فادار "فيل" المحركين. ظلت الإطارات تدور حول نفسها لحظة ثم تلامست مع الأرض واندفعت المركبة نحو الفتحة التي في الجدار بينما ظل "روب" يعدو من خلفها.

توقع طاقم النظافة من الحراس البشريين ألا يروا سوى حطام في منطقة خط النار. بدا من تعبيرات وجوههم عدم استعدادهم لمواجهة "روفر" مهيأة للقتال. تفرق الرجال بينما أخذ قائدهم يصيح في مكبر صوت خوذته طالبا النجدة.

كان على "توم" أن يتعامل مع هؤلاء الرجال قبل وصول النجدة. فتح باب المركبة بقدر طفيف وقذف بقنبلة يدوية صوتية غطى بها النصف الأيسر من خط القتال.

تمكن أحد الرماة المهرة من قذف سهم إلكتروني من خلال الفتحة الضيقة؛ أصاب ذراع "توم" لكن الـ"كيفلار" منعدم التوصيل قام بمهمته بأن دفع بالسهم بعيدا عنه فافرغت شحنته على أرضية الـ"روفر" المعدنية.

ظهر حارس آخر فوق أحد منحدرات الكائنات الآلية المرتفعة من فوقهم

وفي يده قذيفة مدمرة، أسقطها فوق الدبابة الصغيرة لكن "روب" تدخل في اللحظة المناسبة حيث قذف بها جانبا فانفجرت بعيدا عنهم دون أن تصيبهم بأدنى أذى.

بدأ طاقم الحراسة يتراجع إلى الخلف لكنهم لم يكونوا في حالة ذعر مع ذلك. كان شخص ما قد طلب منهم الانسحاب. قطب "توم" فلم يبد هذا التصرف مطابقا لأسلوب "التنين الأسود" الذي لا يتردد في إهلاك رجاله مادام ذلك يبطئ من عملية تقدم أي دخيل نحو مملكته أو يعجزه عن ذلك تماما.

ثلاثة أبنية، ثم انعطاف إلى اليسار، بعده بناءان آخران، ثم يصلون إلى المبنى الذي يقع المعمل فيه. قال "توم":

– لنتحرك يا "فيل" وبسرعة.

انطلقت المركبة نحو الأمام وأطلق محركاها التوربينيان طنينا عاليا بينما قفز "روب" فوق مؤخر الـ"روفر".

انتقل "توم" بداخل السيارة إلى لوحة الاستشعار. أظهرت جميع أجهزة المسح شيئا واحدا هو أن كل واحد – وكل شيء– في مجمع "التنين الأسود" كان يتقهقر في اتجاه ذات الموقع وهو مبنى الإدارة القديمة.

رأى "توم" على البعد مجموعات كبيرة من الكائنات الآلية تتوقف عن حركتها المسرعة. رآها تلتف إلى الخلف ثم تتجمع في صفوف ثم تسير معا مبتعدة عن الموقع. بدا الأمر وكأن عقلا واحدا تولى التحكم فيها فجأة. اقشعر بدن "توم". نعم عقل واحد كان يتحكم فيها جميعا – "زافيار ميس". أما السؤال المقلق فكان: ما الذي كان يعتزم أن يفعله بهم؟

ماذا عن هجوم فدائي بواسطة تلك الكائنات الآلية؟ استطاع "توم" بسهولة تامة أن يتصور موجة عارمة من تلك العمالة المعدنية تحاول قهر الـ"روفر" وتحطيمها تماما بكل ما لديها من معدات طرق وتقطيع وحفر. أصدر أمرا إلى كمبيوتر المركبة بالتحول إلى جميع الأسلحة الدفاعية وقام بعد ذلك بشحن الأجهزة العاملة بالليزر.

قام "توم" أيضا بشرح الموقف لـ"روب". قال:

– من الأفضل أن تعود إلى الداخل.

لكن عندما مروا في الشوارع التي أصبحت خالية تماما لم يتحقق الهجوم المتوقع. تساءل "توم": ما الذي يفكر "ميس" في عمله؟ ماذا يخفي لنا؟

ثم رأوا المبنى الصغير الذي يضم المعمل والذي كان هدفا لهم. قال "روب" وقد عاد إلى التعامل مع أجهزة الاستشعار:

– الموقع كله محاط بمجال إلكتروني مرتفع الطاقة.

فقال "توم":

– لو كان "ميس" يتوقع شيئا فسوف يصاب بخيبة أمل شديدة.

مد يده إلى باب المركبة ثم تراجع مقطبا:

– أرى أن الأمور تسير بيسر بالغ ،لابد أن يكون هناك شركا ما. هل من علامات تشير إلى وجود متصيدين مختبئين فوق الأسطح القريبة؟ ربما يكون هناك لغم إلكتروني آخر موضوعا بمدخل الباب.

فقال "روب":

– لا شيء من ذلك على الإطلاق يا "توم". كل ما أراه هو المجال الإلكتروني. وهناك آثار باهتة لوجود آدمي داخل الجدران.

فقال "توم":

– إنه "ريك"! حسنا. كلما انتظرنا مدة أطول هيأنا لـ"التنين الأسود" فرصة أفضل لإعداد شيء غير سار. هيئ لنا التغطية اللازمة يا "فيل". "روب" وأنا سوف ندخل.

حول كامل الإمرة على جميع الأجهزة إلى لوحة تحكم "فيل" ثم فتح الباب. بعد لحظة واحدة كان واقفا خارج باب المعمل وفي يده حقيبته المصنوعة من نسيج الخيام وبجانبه "روب".

قال "توم" بينما كانا يتجهان إلى الباب:

– لا شيء يحدث.

أخرج قرصا أبيض آخر من حقيبته وأدخله في الشق المبرمج فتحركت آلية القفل على الفور بسرعة محمومة وفتح الباب.

وقف "ريك كانتويل" شاحب الوجه في وسط الحجرة مستعدا بقبضتيه وامتدت على وجهه كدمة ما بين وجنته وخط فكه. قال:

– إنني مستعد لك هذه المرة يا "كوجار"...

لكنه توقف عن الحديث فجأة عندما تعرف على الإنسان الآلي بمدخل الباب. قال بنبرة امتزج فيها السرور بعدم التصديق:

– "روب"؟ أين؟!

رفع "توم" المنظار المثبت بخوذته وارتخت كتفا "ريك" ارتياحا. بدأ يبتسم لكن كان من الواضح أن وجهه كان يؤلمه:

– جئت إلي في الوقت المناسب. كيف أمكنك الوصول إلى هنا دون أن تحترق تماما؟ يوجد تسعون مليون "فولت" من الكهرباء بالخارج.

فأجابه "توم" بقوله:

– ليس علي أن آبه بذلك وأنا أرتدي هذه الحلة. لكن ينبغي عليك أنت أن تقلق بشأنه.

ثم مد يده إلى داخل حقيبة الحيل الإلكترونية قائلا:

– سوف نضطر فقط إلى أن ...

وأضاءت الشاشة العملاقة التي على الجدار نابضة بالحياة حيث ظهر عليها وجه "التنين الأسود" الذي مالبث أن سأل:

– هل أنا سعيد بالحديث مع "توم سويفت"؟

فأجابه "توم":

– هذا صحيح رغم أنني لا أدري لماذا يسعدك ذلك؟

فقال "زافيار ميس" مبتسما:

– يسعدني دائما أن أتحدث مع شخص يبتكر حلا أنيقا لمشكلة عصيبة. في عملية الهندسة العكسية التي أجريتها على العينات التي حصلت عليها أعجبت بنبوغك إلى حد بعيد؛ لهذا السبب أوجه إليك تحذيري هذا.

انحنى الوجه الذي على الشاشة نحو الأمام قليلا:

– سر الموصلية المفرطة لم يصبح الآن سرا. قوة عمالقتي الأوتوماتيكية استطاعت أن تنتج بالفعل نخبة من الكائنات الآلية المهاجمة باستخدام هذه التقنية الجديدة.

ثم عرضت ابتسامة "ميس" وهو يقول:

– أمامك دقيقة واحدة للاستسلام يا "توم سويفت".

الفصل الرابع عشر

بدأ "توم" يقول:

– هل تتوقع أن..

لكن "التنين الأسود" قاطعه بقوله:

– ثمان وخمسون ثانية ونصف الثانية. ولك أن تعتقد ما شئت. لكن إذا رأيت أن تستسلم فعليك أن تخرج خارج المبنى وتترك حقيبتك على الأرض. يبقى لك خمس وأربعون ثانية.

وأظلمت الشاشة على الفور.

قال "ريك":

– "توم". قد يكون هذا الرجل فاقد الصواب لكنني لا أعتقد أنه يمزح أو يبالغ. رأيت عنده نماذج صغيرة الحجم جدا للإنسان الآلي المهاجم الذي تكلم عنه وقد صنعها باستخدام قطع مستخلصة من مواد التجربة التي قام بسرقتها. رأيت تلك الكائنات بنفسي. لو كان قد اهتدى بالفعل إلى طريقة صنع الموصّلية المفرطة...

فقال "توم" وهو ينظر إلى ساعة يده:

– سوف نعرف في غضون نصف دقيقة. حسنا. لن أظل هنا لمجرد أنه قد قال ذلك.

بدأ "توم" يبحث في حقيبته بهدف اختيار المعدة التي اعتزم استخدامها. قال:

– أولا نبطل قوة المجال المحيط بهذا المبنى ثم نأخذك إلى دبابتنا بالخارج ثم بعيدا عن هذا المكان الشبيه بمستشفى أمراض عقلية. يمكننا..

قاطع حديث "توم" انفجار بالخارج. أنزل "توم" منظاره فوق عينيه متوجها إلى مدخل الباب ليرى أسوأ توقعات "ريك" في مواجهتهم.

امتلأ الشارع– من الجدار إلى الجدار– بكتلة من الكرات اللامعة حجم كل منها في مثل حجم كرة الشاطئ. كان عدد منها ملقى على الأرض ممزقا بفعل مدفع الليزر الموجود في الـ"روفر"، وكان المزيد من هذه الكرات مفككا إلى قطع صغيرة يبدو أنها قد انفجرت عن تلامس الشعاع بكرة

مملوءة بمادة متفجرة. لكن لم يكن هذا العدد أكثر من حفنة بالمقارنة إلى أعداد الكرات التي كانت لاتزال سليمة وفي حالة عمل. كانت تلك الكرات طائرة في الهواء على ارتفاع ثلاث أقدام من سطح الأرض.

جاء صوت "فيل" محدثا "توم" في سماعة أذنيه:

– "توم". ماذا ستفعل؟ واضح أن "ميس" لم يتوصل إلى أسرار اختراعك فحسب بل وضعه موضع التنفيذ بإنتاج هذا العدد الكبير. ماذا..

تحركت الكرات دفعة واحدة للهجوم، تقدمت نحو الأمام في موجة فتمكن "توم" من اكتشاف سر قدرتها على الحركة. كان الجزء الأدنى من كل من هذه الكرات مزودا بجهاز رش دوار. فكلما انطلق الكائن الآلي نحو الأمام دار الرشاش ناشرا دائرة من تحته، وبذلك كان لكل من هذه الكائنات الآلية حلقة كهرومغناطيسية من تحته، وذيل من الحلقات المتداخلة يبين المسار الذي اتخذه حتى وصل إلى حيث وصل.

دوى الشارع بأصوات حرب حامية الوطيس. طلقات من مدافع الليزر وطلقات مضادة متتالية أخرى من الـ"روفر". بدا الأمر كان مدينتين عملاقتين مشحونتين كانتا تقطعان الكائنات الآلية المهاجمة. سقطت العشرات من تلك الكرات وقد شقت إلى نصفين وانفجر عدد كبير آخر منها. وعملت واحدة منها – كانت مشحونة بغاز أكال – على انحلال عدد كبير من الكرات المجاورة لها وإسقاط العديد من الهواء من خلال تحطيم مساراتها الكهرومغناطيسية المشحونة. ومع ذلك كان هناك عدد يزيد على ما يكفي للإغارة على الـ"روفر". قام بعضها بقذف رصاصات مخترقة للدروع والبعض الآخر احتشد بداخل المركبة وانفجر. وتمكنت كرة حامضية من حرق مدفع ليزر.

حاولت المركبة أن تدافع عن نفسها بالمدفع المتبقي والقنابل المروحية الصغيرة لكن عدد المهاجمين كان كبيرا جدا. سقط عدد هائل من الكرات المهاجمة إلى الأرض ممزقا أو مفككا لأن أضعاف تلك الأعداد كانت تتوافد لتحل محلها.

عندما انفجر مدفع الليزر الثاني بفعل إحدى الكرات الطائرة صاح "توم" قائلا:

– اخرج من هنا يا "فيل" قبل أن تقتلك هذه الكائنات!

علا صوت محركي الـ"روفر" عندما انطلق "ريك" إلى الخلف بسرعة هائلة فارا من وضعه الميؤوس منه.

تذكر "توم" خطورة وضعه هو عندما طارت قذيفة ارتدادية لتصطدم بهيكل الباب بالقرب من رأسه. خفض رأسه من خلف الباب الفولاذي البالغ سمكه بوصتين طلبا للتغطية فلم ير الـ"روفر" المتقهقرة إلى الخلف والتي بدت وكأنها هدف لجيش من البالونات الثائرة.

ما إن توجه "توم" إلى الداخل حتى أضاءت الشاشة من جديد. خاطبه "التنين الأسود" قائلا:

– يبدو أن عودتك إلى بلدك ستكون على غير المتوقع. ربما تريد الآن أن تعيد تقييم بعض أقوالك المتسرعة السابقة عند ما أستطيع فعله وما لا أستطيع يا سيد "سويفت".

كان "زافيار ميس" لايزال يقوم بدور المضيف الكريم.

– وقد ترغب أيضا في إعادة التفكير في عرضي السخي بالسماح لك بالاستسلام.

– وإذا لم أفعل؟

– ستواجه خيارا أسوأ بكثير. سوف تمحوك كائناتي الآلية من على وجه الأرض تماما.

استطاع "توم" أن يرى قوة جديدة من تلك الكائنات الآلية التي اتخذت شكل كرات لا ملامح لها، تتجمع في الشوارع بالخارج.

– حقيقة يا سيد "سويفت". هل تسمح لي بأن أدعوك "توم"؟ أعتقد أنني سأناديك بهذا الاسم. "توم". من الممكن لك أن تكون إضافة قيمة إلى مؤسستي. من النادر جدا لأناس مثلنا أن يهتدوا إلى عباقرة في مثل مستواهم الذهني. والدك هو الوحيد الذي يرد بخاطري. وإنني واثق بأنك تشاركني رأيي في أنه يعاني عدم المرونة في تعامله مع العالم على وضعه. أما أنت فرجل أصغر سنا. احتمال تعليمك قائم..

وبينما واصل "التنين الأسود" حديثه همس "توم" قائلا:

– "روب" هشم هذه الشاشة أرجوك.

سدد الإنسان الآلي إلى الشاشة لكمة معدنية قوية بحيث لم تكسر صمام الصورة فحسب بل سحقت عددا من المكونات من خلفه أيضا.

ساله "ريك":

– هل أنت واثق أنه كان من الحكمة أن تفعل ذلك؟ كان الرجل يريد أن يتحدث معك.

فقال "توم":

– هذه الشاشة وصلة اتصالات ازدواجية، وآخر ما نريده معنا في هذه الحجرة الآن هو عينا هذا الرجل.

ثم التفت نحو الإنسان الآلي قائلا:

– "روب". أعطني مسحا استشعاريا لهذه الحجرة. هل من أجهزة تنصّت أخرى؟ ابحث وحطم يا "روب".

عندما سمع "ريك" هذا القول تذكر حديثه السابق مع "التنين الأسود". قال مخاطبا "توم":

– لا يمكنك أبدا أن تعلم ما يعرفه هذا الرجل. أخبرني بأنكم قد تمكنتم من اكتشاف أحد جواسيسه بمنشآت "سويفت". قال: "أحد جواسيسه". هل تعتقد أن له أكثر من جاسوس واحد هناك؟

– سوف نهتم بهذا الأمر لدى عودتنا إلى هناك.

ثم راقب "روب" وهو يتجول بحركة دائرية في أرجاء الحجرة:

– حسنا؟

– يوجد جهاز تنصّت هنا..

وانقضت قبضة "روب" على نقطة على ارتفاع ست أقدام بالجدار في مواجهة الباب.

– ... وهنا.

حنى الإنسان الآلي ركبتيه بصعوبة ليقفز إلى ارتفاع اثنتي عشرة قدما في الهواء ويهشم نقطة في السقف.

– وماعدا ذلك المكان خال تماما.

فقال "توم":

– حسنا. والآن لنر ما الذي يمكنك أن تفعله حتى تغلق الباب. أعلم

أنني قد خربت آليته لكن لو أمكنك أن تحاول...

وبينما كان "روب" يسحب الباب المكسور فوق مساره جثا "توم" فوق أرضية المعمل الخرسانية وبدأ يفرز محتويات حقيبته في ثلاثة أكوام.

ساله "ريك" ناظرا من فوق كتف صديقه:

– ماذا تفعل؟

قال "توم" مشيرا إلى الكوم الأكبر:

– هذه الوسائل غير مجدية في موقفنا الراهن؛ لأنها تستخدم في إفقاد الخصوم البشريين وعيهم أو دفع الدخان إلى عيونهم أو التشويش على تفكيرهم من خلال إصدار ضوضاء عالية مفزعة.

ثم أشار إلى كوم أصغر قليلا قائلا:

– وهذه الوسائل مقاومة للإنسان الآلي. لاتزال لدي خمس قذائف متفجرة، ونسخة محمولة من آلية زودت بها الـ"روفر" توقف عمل الأجهزة اللاسلكية، وفي هذه الحالة الراهنة أتوقع لها أن تجعل هذه الكائنات الآلية تطفو بلا هدف محدد وتصطدم ببعضها البعض.

فقال "ريك":

– لا أرى أن هذا يكفي ونحن نقاوم حصارا خاصة واننا لا نعرف مدته أو هل هناك نجدة في الطريق إلينا؟

ثم نظر "ريك" إلى الكوم الثالث متسائلا:

– وما هذه الأشياء؟ يشبه بعضها آداة النشر التي تعمل بالطاقة التي كنت تعبث بها. وأعرف الوصلة الحمراء الخاصة بالليزر وهذه تبدو كضابط صوت و...

فقال "توم":

– جمعت كل ذلك في أداة واحدة. كل ما أرجوه أن تمكننا من الخلاص من هذه الورطة. تعلم عندما قام "التنين الأسود" باختطافك؛ وجدت لزاما علي أن أعيد النظر في فكرة الموصّلية المفرطة باكملها. كنت قد توصلت إلى وضعها موضع التنفيذ والعمل. لكن كيف كان لي أن أبطل مفعولها وأوقف عملها؟ كنت بحاجة إلى معاونتك لي بالمعمل يا "ريك" فقد كان الموقف يعني "الاختبار إلى حد الدمار".

ابتسم "توم" بمرارة قائلا:

– على أية حال توصلت إلى معلومة غير سارة تماما عن تلك البللورات الكهربائية الصلبة– التي كنت قد ابتكرتها– وهي أنها في نطاق معين تقوم بعملها على خير وجه، لكنها تصبح متذبذبة غير ثابتة إذا ما وجهت إليها موجة قوية أو إذا أثيرت بفعل تيار قوي من ترددات إشعاعية معينة.

– ما مدى عدم ثباتها؟

– عدم ثبات بعيد المدى. تنفجر وتنتقل الطاقة المحررة من بللورة إلى أخرى في شكل تفاعل تسلسلي من نوع ما.

قال "ريك" بينما كان ينظر إلى خارج النافذة إلى أعداد الصفوف المتزايدة من الكائنات الآلية المهاجمة، وإلى الذيول مفرطة التوصيل التي أخذت تزداد كثافة على نحو مطرد موصول:

– مخيف!

لحظ أن تلك الذيول كانت محفوفة ببلورات كهربائية صلبة تتميز بعدم ثبات بالغ المدى.

قال "توم":

– هناك مشكلة بالتأكيد. حتى يمكنني التوصل إلى ذلك التفاعل التسلسلي أحتاج إلى موجة كبيرة من الطاقة.. موجة أكبر مما يمكن لأي من مصادر القوى المتنقلة أن توفره. لذلك أحضرت معي آلية القوى الناشرة أملا في أن أتمكن من توصيلها بخط ما بالمجمع.

ثم تنهد مستطردا:

– لم أتصور قط أن أكون محتبسا بحجرة لا مخارج لها ولا مصدر قوى عملاقا بها – ليس فيها سوى وصلة شاشة رؤيا تستطيع بصعوبة أن تضيء مصباحا صغيرا جدا.

ساله "ريك":

– وماذا ستفعل؟

وأجابه "توم":

– أرجو أن أستطيع التفكير في وسيلة ما. سوف أحاول أن أكسب وقتا من خلال التفاوض مع "التنين الأسود". فإذا لم أفلح...

– حسنا. قد نهزم لكننا لابد من أن نقاتل.

نظر إلى مجموعة أسلحته الصغيرة بشغف وقال:

– أيها يستطيع أن يحمي: إحدى النافذتين أم الباب؟

– إحدى النافذتين من فضلك بعدما تقوم أنت أو "روب" بكسرها حتى تفتح. قد تكون هذه العملية أمانا بالنسبة لكما لكنها ليست كذلك بالنسبة لي. لأن المجال الإلكتروني لهذه النافذة..

فاكمل "توم" العبارة وهو ينظر إلى صديقه:

– يجري فيه تسعون مليون فولت، وسوف يسري من خلال الزجاج والإطار! "ريك" أنت نابغة!

وإذا تذكر "توم" ما كانت والدته قد أخبرته عن "زاڤيار ميس" فلم يجد غرابة في أن "التنين الأسود" قد أجرى محاولة أخيرة للتفاوض معه.

طفا شكل جديد من بين الصفوف المحيطة بمبنى المعمل المستهدف. كان ذلك الإنسان الآلي مصمما خصيصا لمهام الاتصالات. شغلت شاشة رؤيا الجزء الأكبر من جسمه الكروي وأحاطت مكبرات الصوت بوسيلة الرؤية.

دوى صوت "زاڤيار ميس" من خلال مكبرات الصوت فوق المجمع بأسره:

– كانت تلك وقاحة يا "سويفت". ناهيك عن خطورة فعلتك. إنك الآن في قبضة يدي، وأوشك أن أسحقك ما لم تبد لي مبررا مقبولا لذلك.

أسرع "توم" في تجميع مكونات آلية النشر التي تعمل بالطاقة موصلا إياها بقطعة من كابل نحاسي غليظ كشطت الطبقة العازلة من نهايته. قال:

– إنني مستعد. لنأمل الحصول على مجالهم.

ثم توجه إلى النافذة وكسر زجاجها مناديا بصوت عال:

– "ميس"! لو استسلمت هل تعدني بعدم إيذاء أي منا؟

وبينما كان يتكلم نزع الزجاج المهشم من إطار النافذة. كانت المادة المقاومة للتوصيل التي كان قد ذرها فوق ملابسه لاتزال توفر له الحماية اللازمة. تعقع الإطار بينما سرت شبكات من الشرر الضارب إلى الحمرة عبر المعدن في الأماكن التي امتدت لمساته إليها ولم يشعر "توم" بأكثر من

وخز طفيف.

قال "التنين الأسود":

– أعدك بذلك.

أمسك "توم" بالقضيب الأحمر والمكونات الأخرى بإحدى يديه والطرف المكهرب باليد الأخرى قائلا:

– لاثقة لي بك.

فقال "زاڤيار ميس":

– بوسعك إذن أن تقبل حياتك قبلة الوداع.

– بوسعك أنت أيضا أن تقبل الموصِّلية المفرطة قبلة الوداع.

ووضع "توم" طرف الكبل على إطار النافذة المعدني وكاد أن يدفع إلى الخلف بفعل قوة الطاقة التي سرت في النحاس. بدأ الكبل الغليظ ذاته يتوهج، وأحس "توم" حتى وهو مرتد تلك الحلة المعزولة تماما بأن درجة حرارة يديه ترتفع إلى حد غير محتمل.

صر على أسنانه ثم ضغط بالقضيب الأحمر على زر الفتح. انطلق من القضيب الذي كان ممسكا به شعاع ضوء كثيف مبهر. كان ذلك يعني أن طاقة مكثفة كان يجري نشرها. لامس هذا الشعاع الأرض في نقطة قريبة من إنسان "ميس" الآلي المتحدث. صوب "توم" –وقد أغمض عينيه إلى حد كاد أن يكون تاما أمام الضوء المتوهج– شعاع القوى إلى ذيل الآلة مفرط التوصيل.

بدا الأمر وكأنه قد ألقى بعود ثقاب على سحابة بترول. ثارت الأرض من تحت الإنسان الآلي بانفجار خاطف للبصر امتد نحو الخلف على مدى المسار الذي كانت تلك الآلة قد خلفته.

أدار "توم" وجهه بعيدا عن النافذة، خشية أن يؤذي الإشعاع "فوق الأحمر" الداخل– من خلال منظار خوذته – عينيه.

أغمض عينيه تماما وأخذ يصوب شعاع القوى عشوائيا نحو صفوف الكائنات الآلية المجتمعة استعدادا للهجوم. مزقت شدة الانفجارات الشارع ذاته بينما أصابت الصدمات الكهربائية الكائنات الآلية المحلقة في الهواء مشوهة وممزقة إياها.

في غضون لحظة تحول الجيش المعدني إلى خردة غير ذات جدوى، لكن الانفجارات تواصلت فشقت طريقها نحو مسار الآليات التي كانت قد تتبعت الـ"روفر". ثم عادت أدراجها لتتجه إلى جهاز التصنيع الذي كان قد قام بإنتاج تلك الكائنات الآلية، ووصلت في النهاية إلى مصنع القوى فاختفى على أثر ذلك فدانان من مجمع "التنين الأسود" في تلك الليلة.

قوى "توم" آلية الإذاعة المتصلة بلاسلكي خوذته ونادى "فيل رادنور". ترامى إلى سماعتي أذنيه صوت خافت:

– "توم"! تلك الكرات القاتلة – انفجرت جميعها! ما الذي حدث؟

– لنقل إن "زافيار ميس" قد خرج من صناعة الموصِّلية المفرطة. هيا أقبل إلينا. لم تصبح لديه أية كائنات آلية.

انفجرت شحنة مدوية بباب المعمل؛ انبطح "ريك" على الأرض في حالة ذهول، وضرب "روب" الأرض أيضا بينما ارتطم "توم" بالجدار بقوة.

قفز رجل يرتدي زيا أسود له شعر طويل باهت إلى داخل الحجرة.

قال "كوجار" غاضبا:

– لا يكلف إنسان آلي أبدا بالقيام بعمل رجل.

الفصل الخامس عشر

ظل "توم" مستندا إلى الجدار مترنحا، غير قادر على أي شيء أكثر من أن ينظر أمامه ويرى "كوجار" الذي تقدم منه مبتسما بحذر يقول:

– أخبروني بأن هذه الحلة التي ترتديها هي التي وقتك من كل ما ألقينا به عليك. لكنني أعتقد أن خنجر صيد الخنازير البرية هذا من الممكن أن يتعامل معها.

وترامى إلى أذني "توم" طنين طالما ربط بينه وبين آلة الحفر التي يستخدمها طبيب الأسنان. لكن الصوت كان آتيا من يد "كوجار" اليمنى. رفع القاتل الماجور سكينا ذات مقبض أكبر من الحجم المعتاد وشفرة حادة. قال "كوجار":

– ذوو العقول الراجحة يطلقون على هذه اسم "الشفرة المترددة" لأنها

تتحرك بسرعة شديدة، تنطلق عنها ترددات فوق صوتية. مجرد حملها يصيبني بالصداع، لكن الإحساس بها سيكون أوقع بكثير. رأيتها تقطع الماس لهذا تجدني مشتاقا إلى تجربتها على حلتك الغريبة هذه.

وتألقت عينا الرجل تطلعا إلى ما كان سيحدث.

لم يعلم "توم" أن حلته بوسعها أن تصمد أمام "تجربة" "كوجار" المرتقبة. أخذ يقاوم باستماتة محاولا أن يقف على قدميه حتى يمكنه الدفاع عن نفسه لكنه لم يستطع أن يتحرك.

أطلق "كوجار" ضحكة خاوية. قال:

– ستكون العملية سهلة جدا. رقم قياسي يستحق التسجيل! أن ينجح "كوجار" حيث فشل "التنين الأسود".

نظر "توم" إلى الأرض حيث تبعثرت أدواته التي كان قد أخرجها من حقيبته. لو أن قنبلة يدوية صوتية واحدة كانت قريبة منه لأصاب ذلك الرجل بصداع حقيقي. لكن كل شيء كان بوسط الحجرة ولا شيء منه بالقرب من الجدار. انتظر. شيء ما كان قد تدحرج بالقرب من قدمه اليمنى. تظاهر "توم" بطأطأة رأسه اعترافا بهزيمته متحينا الفرصة لإلقاء نظرة أخرى على ذلك الشيء الذي كان قنبلة دخان.

كان "كوجار" قد وقف فوقه تقريبا. إما الآن أو أبدا. ضغط "توم" على القنبلة بقدمه بكل قوته.

امتلأت الحجرة على الفور بأمواج الدخان الأبيض الفضي، تفوه "كوجار" ببعض الألفاظ النابية وهو ينقض نحو الجدار عشوائيا بمديته المترددة. لكن "توم" كان قد غادر تلك البقعة بان قذف بنفسه نحو اليمين متدحرجا إلى مكان آمن. وكان الفضل في ذلك راجعا إلى منظاره الذي مكنه من الرؤية بوضوح من خلال الدخان، وهذا ما كان يعني أيضا أنه تمكن من رؤية تلك السكين تقطع الخرسانة الصلبة بكل سهولة كما لو كانت قطعة من الجبن.

كشر "كوجار" عن أسنانه في صمت، سكن في مكانه تماما يصغي إلى أدنى صوت حتى يتمكن من توجيه مديته إلى اتجاه آخر. ظل "توم" في حالة قبوع وهو يتحرك نحو اليمين بلا ضوضاء، تذكر بحثا عن فتحة يمكنه أن يقفز بداخلها ويحاول تجريد ذلك الرجل من سلاحه.

وجه "كوجار" سلاحه بسرعة البرق نحو مصدر الضجة. لكن "توم" سرعان ما تراجع متلافيا المدية على قيد بضع بوصات من صدره. كانت المدية لاتزال ما بينه وبين "كوجار".

كان ذلك الرجل- ذو الزي الأسود- بالغ المهارة في تداول الأسلحة ذات الحد المشحوذ. حتى عندما كان يستخدم سلاحه عشوائيا كان من الممكن أن يسعده الحظ بأن يصيب "توم" بإحدى طعناته. لهذا كان ينبغي على "توم" أن يقفز فوقه وعلى الفور.

سدد "ريك" ضربة قوية إلى بطنه. هو أيضا كان قد طرح على الأرض بفعل الانفجار الذي كان قد وقع عند الباب لكنه ظل في مكانه، وبينما انقشع الدخان من أسفل إلى أعلى تعرف على حذاء رعاة البقر الذي كان "كوجار" يرتديه، وبكل المهارة والقوة التي كان قد اكتسبها بملاعب كرة القدم انقض عليه ليسقطه.

لكن "كوجار" تحرك بقدر طفيف بوحي من حاسته الإجرامية السادسة في اللحظة التي انقض "ريك" عليه فيها. فلم يتمكن "ريك" إلا من القبض على إحدى قدمي "كوجار" بينما اندفعت القدم الأخرى ليضرب "ريك" في وجهه.

- هيي- هذا صديقك يا "سويفت".

أوقف المدية المترددة فجأة وانحنى على الأرض حيث قبض على "ريك" ورفعه معه إلى أعلى. وقبل أن يتمكن "توم" من الوصول إليهما كان المجرم وأسيره قد اندفعا إلى خارج النافذة المتبقية بدون كسر.

استغرق "توم" جزءا من الثانية في التقاط بعض أسلحته ثم أمر "روب" قائلا:

- "روب" انهض واتبعني.

ارتفع أحد أركان الباب الفولاذي عن الأرض وتمكن "روب" من الخروج من تحته وهو يولول قائلا:

- مزيد من الإصابات.

قفز "توم" وإنسانه الآلي من مدخل الباب إلى الظلام الحالك بالخارج. كانت الأضواء الوحيدة بالمنطقة كلها بمبنى الإدارة القديم.

- صحيح.

تذكر "توم" أن مبنى الإدارة كان مزودا بمصدر مستقل للطاقة لاستخدامه في حالات الطوارئ. بدا في تلك اللحظة أن "التنين الأسود" كان يستخدمه - وكان كبير مجرمي "ميس" متوجها إلى هناك.

كان "كوجار" قد اتبع الأسلوب الكلاسيكي في معاملة الإرهابيين لرهائنهم. وقف خلف "ريك" مصوبا مديته إلى حنجرته.

توجها إلى المبنى من خلال أحد الأبواب الذي يذكر "توم" أنه كان باب معمل التحاليل القديم. نظر من خلال إحدى النوافذ ليرى ما إذا كانت ذاكرته صحيحة في هذا الصدد. رأى "كوجار" و"ريك" ينسحبان عند نهاية أحد الممرات الكثيرة التي كانت تفصل ما بين مناضد العمل بالمعمل.

همس "توم" مخاطبا إنسانه الآلي:

- "ريك"! بعدما ندخل من الباب نتفرق حتى يمكننا مهاجمة الرجل من اتجاهين مختلفين.

انطلقا إلى المدخل واتجه "روب" يمينا و"توم" يسارا. عدا "توم" بأقصى سرعته عبر ممر مواز لمسار "كوجار". صاح المجرم قائلا:

- ابتعد يا "سويفت". إنك تنسى من صاحب اليد العليا هنا.

توقف "توم" في مكانه عندما رأى كيف كان "كوجار" يهدد "ريك" بالمدية وينادي على "روب" قائلا:

- "روب"! توقف!

- والآن يا "سويفت" عند أول حركة منك أو من صديقك الصغيحي، صديقك هنا سوف يعاني ما هو أكثر من بعض ضربات أو كدمات.

اختلس "توم" نظرة إلى السلاحين اللذين تمكن من التقاطهما من فوق أرضية المعمل. عظيم. متلف اللاسلكي والقنبلة المدمرة.. لماذا لم يحضر معه قنبلة صوتية؟ لابد أنها كانت جميعها تحت الباب المنهار.

قال "كوجار":

- حتى أحول دون عبثك يا "سويفت" ساطلب منك أن تفعل شيئا بسيطا تشغل به وقتك. اخلع خوذتك.

هز "توم" كتفيه. فلم تكن هناك ضرورة فعلية لهذا المنظار مادامت هناك

إضاءة كافية بالحجرة. خلع الخوذة ثم رأى إلى أين كان "كوجار" متجها، وفهم السبب في أنه أراده عاري الرأس. على بعد منضدتين من المكان الذي كان "كوجار" و"ريك" واقفين فيه كانت هناك منضدة معمل عليها مسدس آلي.

تبع "كوجار" نظرة "توم" قائلا:

– نعم. إنه ملغم. كانوا يجرون التجارب على نوع جديد من رصاص البورانيوم المستنفذ لاستعمال الكائنات الآلية المهاجمة. إنك شخص من الخطورة الاقتراب منك. لكن وعلى الرغم من أنني لست أفضل رام في العالم إلا أنني أعتقد أنه يمكنني إصابتك من هنا.

علم "توم" أنه بمجرد اقتراب "كوجار" من المسدس تنتهي حياته. وعلم "ريك" أيضا ذلك. اتجهت نظرته ضارعة إلى "توم" لكي يفعل أي شيء. أيا كان ليشتت انتباه المجرم بعيدا عنه، كانت معه القنبلة المدمرة. من المؤكد أن انفجارا سيكون كفيلا بجذب انتباه "كوجار" إلى شيء آخر. من المحتمل أيضا أن يسفر الانفجار عن تدمير المبنى. وكان "كوجار" شديد القرب من "ريك" ومعه تلك المدية المصوبة إلى حنجرته. فكان من المحتمل أيضا أن يصاب "ريك" وبدرجة كبيرة. كان لابد له من أن يبحث عن وسيلة أخرى.

عندما نظر "توم" إلى المنضدة التي كانت أمامه اهتدى إلى الوسيلة المطلوبة. كان من بين العديد من الأجهزة والأدوات الكهربائية الموضوعة عليها لوحة التحكم التي كان "ريك" قد استخدمها في التحكم في لوحه "الركمجي"، وكان فوق منضدة معمل خلف "كوجار". كان لوح "الركمجة" ذاته طافيا على مسافة قدم تقريبا في الهواء. لقد أصبح اللوح غير ذي قيمة تذكر اللهم إلا لهواة جمع مثل هذه الأشياء، هذا فضلا عن أنه كان يمثل الموصلية المفرطة الوحيدة التي تحت يد "التنين الأسود" والتي لم تدمر بعد.

كان "كوجار" و"ريك" قد بلغا المنضدة التي كان المسدس فوقها. وضع "توم" يده خلسة على مقبض التحكم. قال بصوت عال حقنه بنبرات التوتر:

– "كوجار". ألا يمكننا أن نتوصل إلى اتفاق ما؟

ارتسمت على وجه "كوجار" ابتسامة عريضة:

– يقول الرئيس إنك قد أصبحت تاريخا. ربما أن ذلك راجع إلى أنه لا يحب أن يكون له منافس في مجال الأعمال التي تتطلب نبوغا خارقا. وربما أيضا يكون راجعا إلى أنك قد دمرت قدرا كبيرا من المجمع هنا.

امتدت يسراه إلى المسدس بينما أمسكت يمناه بالمدية المصوبة إلى حنجرة "ريك". واندفعت نظرته من "توم" إلى "روب" إلى "ريك".

أدار "توم" المقاوم المتغير للسرعة حتى أقصاه فقفز اللوح "الركمجي" من فوق مجاله المغناطيسي، وطار عبر الفراغ الفاصل ما بين المناضد حيث اصطدم بشدة بجانب "كوجار" الأيسر.

التف حول نفسه بمقدار نصف دورة أمام هذا الهجوم غير المتوقع، وامتدت يده مرتعدة نحو المسدس. تمكن "ريك" من الإفلات من تحت المدية وقذف "توم" بنفسه إلى "كوجار".

اصطدم بالمجرم فاسقطه فوق منضدة ثالثة. أمسك بذراع "كوجار" اليمنى وأخذ يضرب رسغه بحافة المنضدة بضع مرات. سقطت المدية المترددة من يد "كوجار" إلى جانب المنضدة حتى اصطدمت بالأرض.

انضم "ريك" بعد ذلك إلى المجموعة، إذ كان صديقه قد أوهن الرجل على الأقل، كما رأى "توم" أنه من العدل أن يكون "ريك" هو آخر من يضرب "كوجار" فيفقده وعيه.

أبطل "توم" عمل المدية الترددية ووضعها في جيبه ثم قال:

– "روب" حاول أن تجد لنا شيئا نوثق به هذا الـ...

وسكت صوت "توم" تدريجيا عندما نظر إلى الإنسان الآلي البراق الذي وقف أمامه. رأى أن به أمرين غير عاديين: أولهما: أن آخر شيء فعله "توم" قبل شن هذه الغارة كان رش "روب" بالمحلول غير الموصل مما أطفأ لمعان البشرة المعدنية لهذا الإنسان الآلي. والأمر الثاني الذي لم يقل أهمية عن هذا: أين ذهبت الإصابات العديدة التي لحقت بجسم "روب" المعدني أثناء تلك المغامرة؟

قال "توم" بنبرة واجمة:

– حسنا يا "ميس" ماذا فعلت بـ"روب"؟

تنهد الإنسان الآلي الواقف أمامه. ثم قال بصوت "زاڤيار ميس":

– هذه هي مشكلة العمل المتسرع. توفيرا للوقت تستخدم الأدوات القديمة المتاحة بدلا من تقليد الأصل.

– ومع ذلك عليك أن تعترف بأن هذه كانت خدعة ناجحة. ألم تكن كذلك؟ مادمت قد بقيت بعيدا عن رؤيتك المباشرة.

وبدأت صورة الإنسان الآلي البالغ طوله سبع أقدام تتقد ثم تتقشع. اهتزت كلية على مدى لحظة، ثم اختفت تماما. وقف من خلفها رجل متقدم في السن طوله خمس أقدام وعشر بوصات. كان كل من "توم" و"ريك" قد رآه من قبل.

وقف أمامهما "التنين الأسود" بدون قناع.

الفصل السادس عشر

رمق "ميس" "توم" بنظرة تنطق بالمرارة. قال:

– أبحاثك ضعيفة للغاية يا سيد "سويفت". كان من الممكن أن توفر علينا جهودا مضنية لو كنت قد اكتشفت عدم ثبات الطاقة الهائلة في بللوراتك في وقت سابق.

فقال "توم":

– أرى أنك قد عدت تنادبني السيد "سويفت" ثانية.

انحنى "التنين الأسود" قائلا:

– هذا هو أقل ما يمكنني أن أفعله حيال منافس جدير.

فقال "ريك" غاضبا:

– أعتقد أنه يمكنك أن تفعل ما هو أفضل من هذا بكثير. حاولت أن تسرق اختراع "توم"، وقمت باختطافي، وكدت أن تقتل كلينا. وبعد كل ذلك لديك من هدوء الأعصاب ما يجعلك تتصرف وكأن كل ما حدث كان بسبب خطأ "توم" لكونه عالما غير متمكن!

بدأ يقترب من "ميس" قابضا راحتيه تارة وباسطهما تارة أخرى. قال:

– أراهن على أنك لست قويا بدون مساندة هذا الكم الهائل من الكهرباء لك. ما الذي يمنعنا عن أن نقبض عليك ونوثقك بـ"كوجار" ونسلم كليكما إلى الشرطة في طرد واحد؟

فقال "توم" محذرا:

– لا تؤذ نفسك بلمسه لأنه مجرد صورة واهية.

فقال "ريك" محدثا صديقه:

– ليس في هذه المرة. يمكنني أن أرى..

وفغرفاه وخارت معنوياته عندما اقترب من "ميس" المبتسم بقدر أكبر، قال:

– نعم يمكنني الآن أن أرى حدودا باهتة لأحد مكاتب المعمل من خلاله.

ثم التفت "ريك" نحو "توم" متسائلا:

– كيف عرفت ذلك؟

فقال "توم":

– بدأت أشك في الأمر عندما غير صورته من "روب" إلى "ميس". كانت هناك رعشة ضوئية على مدى جزء من الثانية ولم تكن هناك أية صورة في تلك الأثناء. ثم إن "ميس" الصورة واثق تمام الثقة من أنه لا يمكننا تقديمه للمحاكمة.

ثم قطب قائلا:

– لكن كل ذلك لا يعلمنا بما حدث لـ"روب" ولا بمكانه.

فقال صورة "زاڤيار ميس":

– حاول أن تذهب إلى مكتب والدك القديم. سوف تجد الإنسان الآلي هناك، وسوف تراني لحما ودما.

نظر "ريك" إلى "توم" قائلا:

– ماذا ننتظر؟

قاما بتقييد "كوجار" –الذي كان قد بدأ يفيق– باستخدام سلك كهربائي اهتدوا إليه، ثم انصرفا قاصدين المكتب الرئيسي.

قال "توم" بينما كانا يسيران في ممر معتم الإضاءة إلى المكتب:

– أمر غريب. ظل والدي يعمل هنا على مدى سنوات والآن سوف أواجه ألد أعداء والدي بمكتبه.

مرا بمكتب الاستقبال القديم. مد "ريك" يده ليدير المقبض وفتح الباب في صمت. اضطر "توم" أن يكبح لهاثا، فقد كان الأثاث والسجاد وحتى الستائر التي فوق الجدران على ما كان عليه عندما كان هو والسيد "سويفت" يعملان هناك. كذلك كان "التنين الأسود" قد ملأ نوافذ العرض بنماذج مطابقة لتلك التي كانت يوما ما فوق الأرفف.

كان الجزء الوحيد غير المتطابق من الصورة هو ذلك الشكل البشري الجليل الجالس فوق مقعد "توم سويفت" الوالد.

– لا أرى "روب" هنا يا "ميس".

ثم التقط "ريك" صينية فضية من فوق منضدة مجاورة للباب وقذف بها إلى الشكل البشري قائلا:

– وإذا كنت صورة ضوئية أخرى...

لم تنفذ الصينية في ذلك الشكل. ارتطمت بصدره فأسقطته من فوق المقعد.

أسرع الشابان إلى الجسم الساكن فوق الأرض. قال "ريك" بانفعال:

– لم أقصد أن...

شحب وجه "ريك" تماما بينما جثا "توم" بجوار الجسم واضعا يده فوق حنجرته بحثا عن النبض.

– هل – هل هو ميت؟

فقال "توم":

– يمكنك أن تقول ذلك. فلم يكن حيا أبدا.

– ماذا؟!

وانحنى "ريك" فوق الجسم ولمسه ثم صاح:

– إنه دمية من الشمع!

فقال "توم" مصوبا:

– تمثال من الشمع. شخص وهمي صنع ليكون أقرب ما يمكن إلى إنسان حي. لنا أن ننسى تفاصيل ما يبدو "زاڤيار ميس" عليه لأنه ربما كان هذا

الشكل مالا يبدو "ميس" عليه.

وإذ لحظ "توم" مدى تخبط صديقه قال شارحا له وجهة نظره:

– رتب "ميس" الحقيقي لصنع هذا التمثال ولعمل تلك الصور المرسلة بالكمبيوتر له. وباستخدام الكمبيوتر في جعل الصورة تتحرك فتبدو وكأنها لإنسان على قيد الحياة تمكن من استخدام هذه الصورة الزائفة كلية والتي ادعى أنها له في تعاملاته مع جميع من حوله.

قال "ريك" معترضا:

– لا سبيل إلى ذلك. لقد نسيت أنني كنت مع "ميس" في ذلك المعمل من أجل تلك التجربة التي أجراها باستخدام الكائنات الآلية المهاجمة. كان رجلا حقيقيا. وكان ما أخرجه من جيبه بليات حقيقية. وكانت تلك الجنود– التي تم مهاجمتها– لعبا حقيقية. رأيت كل ذلك. ودفعني "كوجار" فسقطت على الأرض فوق بعض منها.

قال صوت "زاڤيار ميس":

– ملاحظة ممتازة يا "ريك".

التفتا إلى الخلف فرأيا صورة ضوئية أخرى لـ"التنين الأسود"، تتكون عند باب حجرة المكتب بينما استطرد "ميس" يقول:

– إنني آسف أن أخبرك بأنك كنت ضحية خدعة كبيرة. نعم. شخص حقيقي هو الذي نشر نماذج تلك الكائنات الآلية فوق المسار. كان ذلك أحد رجال الأمن العاملين لدي. وتم عرض الصورة الضوئية فوق جسده حتى يبدو وكأنه أنا.

وابتسم "ميس" الزائف مستطردا:

– ويؤسفني أن شخصي الحقيقي قد غادر هذا المجمع – وولاية "نيويورك" بأسرها– منذ زمن طويل.

تقدم الشكل الشبيه بالآدمي بمقدار خطوة أمام الباب. قال:

– سيكون هذا المجمع محط أنظار العامة في القريب العاجل. العديد من الأحداث الغامضة، انفجارات في الليل وما إلى ذلك. لا بأس من ذلك بالتأكيد. لأنها عملية تلقائية من جميع النواحي. لكن بعض الأهالي سيتقدمون بشكاوى تفيد أن هذه العمليات لا تنطوي على الأمان اللازم

للمدينة. لذلك سوف أرحل.

فقال "توم":

– كي تعود في وقت لاحق بوجه آخر واسم آخر تدير به أمورك.

– بالضبط.

تحركت الصورة، أصبحت أكبر وأكثر طولا – متحولة إلى "روب".

– رأيتما كم أن الأمر غاية في السهولة.

فقال "ريك":

– إنني متحير. كيف يمكنه أن يكبر وينكمش هكذا؟

فقال "توم":

– إنها الصورة الضوئية. هي التي تنمو وتنكمش أو تجعل الأشياء خفية. إذا وقفت إلى جوار الجدار وجعلت صورة ضوئية للجدار فقط تعكس علي فلن يمكنك أن تراني.

سأل "ريك":

– لكن هل هذه صورة ضوئية لـ"روب"؟ أم أنه الإنسان الآلي الحقيقي؟

ثم تقدم نحو "روب". فقال الإنسان الآلي مؤكدا له بصوت "ميس":

– آه. إنه "روب" الحقيقي.

ثم امتدت يد كبيرة، عندما توجه "ريك" إلى الباب دفعته إلى الداخل ثانية. شحب وجه "ريك" تماما. قال:

– لو كان هذا هو "روب" الحقيقي فلماذا يتحدث بصوت "ميس"؟

قال الإنسان الآلي:

– إنني أعد لحادث غامض أخير بين أحداث هذه الليلة. الدخيلان الشابان "ريك كانتويل" و"توم سويفت" سوف يوجدان مقتولين بمكتب والد "توم" القديم بعدما أصيب إنسانهما الآلي بالجنون.

سأل "ريك":

– "توم". ماذا سنفعل؟

فقال "روب":

– ارفعا صلواتكما لله. تعلمان مدى الحماية التي يتمتع بها هذا المكتب. كما أنني واقف ما بينكما وبين الباب الوحيد بالحجرة.

فقال "توم" على الفور واضعا يديه في جيبيه:

– أنت إذن هو الجاسوس الآخر بمنشآت "سويفت". أعتقد أن "جاريت فراين" قد قام ببرمجتك أيضا.

فقال "روب" مستخدما صوت "ميس":

– آه. لا. "أورب" هو الذي برمجني. أما "فراين" فهو الذي أجرى عملية إعادة برمجة "أورب" وإن كان أهم عمل قام به هو إدخال قطعة آلة بدائرة "أورب". عبارة عن رقاقة بسيطة متناهية الصغر تشبه الآلاف غيرها مما بداخل "أورب". لكن هذه الرقاقة بالذات تتيح لـ"زافيار ميس" إمكان الاطلاع على جميع أنظمة تشغيل "أورب"، والآن وتلك الرقاقة مستقرة بداخل "أورب" أصبح من الممكن إعادة برمجة "أورب" حتى عن بعد ليقوم بأي عمل يطلب منه.

ضحك صوت "ميس" عليهما قائلا:

– وأفضل ما في الأمر أن هذه القطعة لا يمكن اكتشافها تقريبا! وقد قام العاملون بالكمبيوتر بمنشآت "سويفت" بتطهير كل معلومات "أورب" وإعادة برمجته لكنهم تركوا هذه القطعة المعدنية بالغة الأهمية بدون استبدال.

كاد الإنسان الآلي أن يكون فوقهما في تلك اللحظة بينما قال صوت "ميس":

– حسنا. الآن وقد أشبعت فضولكما، لننته من هذه المهمة على الفور.

– حسنا.

ووقف "توم" في طريق الإنسان الآلي مباشرة وبحركة سريعة واحدة انتزع من يده المدية المترددة فتحول أنين آلة طبيب الأسنان إلى صياح مرتفع عندما قطعت المدية الذراع المعدنية الممتدة إليها. تحركت ذراع "روب" الأخرى لضرب "توم" بصدر الإنسان الآلي، لكن "توم" هبط إلى أسفل موجها المدية إلى الجزء الأوسط من "روب".

توقف الإنسان الآلي لحظة عن الحركة وعيناه– اللتان كانتا عبارة عن خليتين ضوئيتين– تطرفان اضطرابا. سقط "روب" بعد ذلك إلى الأرض وتهشم.

قال "توم" مفسرا ما حدث إلى "ريك" الذي وقف يحدق إلى المشهد دهشا:

– هذا لان مخ "روب" في معدته. أما الرأس فمحتي على وسائل استشعار. خطا من فوق الجسم المعدني متوجها إلى الباب ثم قال:

– لأستعد خوذتي وأنادي "فيل رادنور" لأن الجولة لم تنته بعد.

غادر "ريك" حجرة المكتب وبينما توجه "توم" ليغلق الباب نظر إلى الخلف هامسا:

– إنني آسف من أجلك يا "روب".

*****

سأل "ريك" والد "روفر" تطير بهم عائدة إلى "كاليفورنيا":

– هل تعتقد أن كل هذا سوف يجدي؟

فأجابه "توم" بنبرة جادة:

– لا. ليس باستطاعتنا أن نتصل بأي شخص بالمنشأة أو بالبيت كي نحذرهم من "أورب"؛ لان "أورب" تام التوصيل بجميع شبكات اتصالاتنا. إننا قريبان جدا من المجمع الآن بحيث يمكنني التسلل إلى النظام؛ لأعرف مكان "أورب" بالمجمع على وجه التحديد. ومشكلتي هي أنني بحاجة إلى كامل كفاءة الكمبيوتر بحيث أتجاوز الحراسة. وهذا يعني أنك ستتولى قيادة الطائرة عند بدء هبوطها ثم أتولاها أنا عند الهبوط الفعلي.

ابتسم "توم" عندما رأى تعبيرات وجه صديقه. قال:

– هيا يا رجل! مهمتك هي الأسهل! فكر في "فيل رادنور" المضطر إلى إقناع "كوجار" بمعاونته على إبعاد "روب" عن ممتلكات "التنين الأسود" قبل وصول السلطات.

قال "ريك":

– وعدنا بإطلاق سراح "كوجار".

– ولو كانت لديه ذرة ذكاء لاختفى تماما. لانه ليس من الحكمة أن يظل في الموقع وقد غضب "التنين الأسود" منه.

اقشعر بدن "ريك" وهو يقول:

– هذا أعلمه جيدا.

استطرد "توم" يقول:

– سوف يبذل "فيل" ما بوسعه حتى لا تنتشر أخبار ما حدث في "ليك كرلويا". قد يدهش "ميس" عندما لا تتناول وسائل الإعلان تفاصيل ما حدث، لكن هذا من الممكن أن يتيح لنا الوقت الكافي لان نهبط ثم نبطل عمل "أورب".

فقال "ريك":

– حسنا. لا نريد أن يعرف "ميس" أننا على قيد الحياة فيستخدم "أورب" في ضربة أخيرة للانتقام منا.

تمكنا بشكل أو بآخر من التملص من إعلان هويتهما حتى أصبحا فوق ساحة الهبوط بمطار منشآت "سويفت" وسط مرور الصباح الجوي المعتاد الآخر. اتصل والد "توم" بهما لاسلكيا:

– لماذا لم تخبرنا بانك عائد ومعك "ريك"؟ كاد القلق أن يذهب بعقل والدتك وعقلي.

فأجابه "توم":

– آسف يا أبي. رأيت أنه من الأفضل أن أحتفظ بالأمر سرا حتى نهبط هنا بالفعل.

– حسنا. عليك أن تستعد لحفل استقبال. عادت شقيقتك من المستشفى وسنكون جميعا في انتظاركما عند حظيرة الكائنات الآلية.

كان ذلك المكان هو الموقع المخصص لصيانة الطائرات بمنشآت "سويفت"، وكانت الحظيرة بأسرها تدار بالكمبيوتر بما في ذلك الروافع "الأوتوماتيكية" وأذرع اللحام المتصلة بالكائنات الآلية التي تقوم بأعمال صيانة الطائرات وإصلاحها.

قال "توم" وهو ينهي الاتصال:

– عظيم جدا.

ثم تساءل في صمت: لكن أين "أورب"؟ فعلى الرغم من الجهود التي بذلها على مدى هذه الساعة الأخيرة لم يمكنه الاهتداء إلى مكان الإنسان

الآلي. كان برنامج البحث لايزال في حالة عمل مع ذلك، وكان "توم" يأمل أن يعرف مكان "أورب" عند هبوطه هو و"ريك" إلى الأرض.

لم تكن عملية الهبوط سهلة إذ كان "توم" متعبا للغاية. قفزت الـ"روفر" ثلاث مرات فوق الممر.

قال والد "توم" بنبرة تعبر عن عدم الرضا التام:

– يبدو أننا سوف نضطر إلى عمل عمرة كاملة لجهاز الكمبيوتر الذي بها. كان ينبغي أن يهبط الطائرة على نحو أفضل من هذا.

اتجه "توم" بالطائرة صوب الحظيرة وكانت أبوابها تفتح "أوتوماتيكيا". كان داخلها والد "توم" وأسرة "كانتويل". وقفت "ماندي" تلوح إلى أعلى نحو قمرة الطيار وذراعها الأخرى مطوقة خصر "ساندرا" التي بدت شاحبة لكن سعيدة. على الأقل. هذا ما استطاع أن يراه من خلف ذراع لحام الإنسان الآلي الذي وقف يعمل في الطريق ما بينه وبينها.

أعلن جهاز الكمبيوتر في تلك اللحظة الرسالة التالية:

– تم تحديد موقع "أورب".

فقال "توم":

– أخيرا.

لكن الطائرة كانت قد وصلت إلى نهاية الحظيرة فلم يكن بحاجة إلى تلك المعلومة. استطاع "توم" أن يرى بعينيه أين كان "أورب" – في ذراعي شقيقته وفي وسط الحظيرة التي يتم التحكم فيها بالكامل عن طريق أجهزة الكمبيوتر.

تبين "توم" بعد ذلك أن أبواب الحظيرة كانت تغلق وأن شيئا ما كان يتحرك إلى الخارج من معدات الإصلاح المرتبة إلى الجدار.

ذراع لحام إنسان آلي عملاق كانت تتحرك صوب أسرته!

الفصل السابع عشر

لم يمنح "توم" نفسه فرصة حتى للتفكير. صاح والطائرة لاتزال تتحرك:

– تول جهاز القيادة يا "ريك".

امتدت يسراه ففتحت غطاء ركن الطيار ويمناه إلى جيب صدره حيث أخرجت الإبرة التي كان قد قام بتشفيرها مغناطيسيا عندما كان في كوخ "فيل رادنور". اعتلى جناح الطائرة متأهبا للقفز نحو "ساندرا" حتى يبطل عمل "أورب"، مركزا كل اهتمامه على ذلك الجسم الكروي الصغير.

كان تركيزه على "أورب" كاملا بحيث لم يلحظ ذراع الرافعة التي تحركت فجأة لتسقطه من فوق الجناح.

كانت صيحة "ماندي":

– "توم"! خلفك!

هي التحذير الوحيد الذي تلقاه. ولم يكن كافيا. لم يسقط لكنه على الرغم من أنه تمكن من التشبث بالرافعة إلا أن الإبرة الممغنطة سقطت من يده إلى أرضية الحظيرة، ولم يلحظ أحد صوت سقوطها بسبب الآلات الدائرة آنذاك.

لكن الجميع لحظوا أن ذراع الرافعة كانت تتأرجح مرتفعة إلى أعلى حاملة "توم" معها.

– "توم"! ماذا..

– شيء ما على غير ما يرام!

– جهاز القيادة!

– "توم"!

سمع فوق صيحات الاضطراب هذه صوت والدته الحزينة لحظة أن تخلت يده عن ذراع الرافعة.

كان على الرغم من كل ذلك قد حسب الأمور حسابها الصحيح. سقط فوق ذيل الـ"روفر" المرتفع لحظة مرورها أسفله.

سلك "توم" طريقه فوق جسم الطائرة ملوحا إلى "ساندرا" بحماس شديد:

– "ساندرا"! خذي "أورب".

وجاء صوت آلة تنبيه عال فاغرق في ضوضائه كلمات "توم". لكن "توم" استطاع أن يستنبط من حركة شفتي "ساندرا" أنها كانت تقول له:

– لا أستطيع أن أسمعك.

كانت ذراع اللحام تتحرك بعيدا عنها على الأقل. وكانت متجهة في تلك اللحظة إلى الإبرة الممغنطة فوق الأرض.

صاح بياس:

– "ساندرا"!

رفعت شقيقته بصرها نحوه وقد شحب وجهها تماما وبدت عليه علامات التخبط.

كان "توم" قد وصل إلى سلم الطيار خلف الجناح، كانت إبرة إيقاف العمل أسفله بحوالي خمس أقدام. لكن ذراع اللحام أدركتها قبله.

خرج من قوسها الكهربائي شرر ملأ الحظيرة بأسرها برائحة الأوزون وانصهرت الإبرة فأصبحت كتلة معدنية لا شكل لها. لكن "توم" لم يعر الإبرة أي اهتمام. ألقى بنفسه عبر الجناح وأطلق صيحة في الصمت المخيم فجأة:

– "ساندرا"! اقذفي بـ"أورب" إلي.

كانت "ساندرا" كبيرة الثقة بشقيقها. قذفت إليه بالإنسان الآلي كروي الشكل وكأنه كرة كبيرة الحجم.

رأى "توم" أنها إما ظنت "أورب" أقل وزنا أو اعتقدت أنها أكثر قوة لأن الجسم الكروي كاد ألا يصل إلى يدي "توم" الممتدتين عن آخرهما.

انبطح "توم" فوق الجناح وتمكن– بصعوبة – من التقاط "أورب" من الهواء قبل أن يهوي إلى الأرض. رأى في ذات اللحظة أن ذراع اللحام والرافعة ورافعة عملاقة أخرى مركبة بالسقف كانت تتقدم مجتمعة نحو أسرتي "سويفت" و"كانتويل". اعتدل "توم" جالسا فوق الجناح و"أورب" في حجره. فحص بيدين تتصببان عرقا سطح "أورب" الخارجي الفضي بحثا عن ثقب الإبرة المعني.

حجب الضوء من فوقه فجأة عندما اتجهت ذراع الرافعة من جديد نحوه من أعلى مصوبة إلى رأسه في هذه المرة. اندفعت يد "توم" إلى جيب صدر حلته مرة أخرى حيث أخرجت منه إبرة أخرى مبطلة الفعالية.

أملى على نفسه ألا ينظر ويرى مدى قرب ذراع اللحام من "ساندرا" و"ماندي"، ولم يسمح لنفسه حتى بأن يضيع ثانية واحدة في النظر إلى

الضربة القاتلة الموجهة إليه من أعلى.

كان كل اهتمام "توم" موجها إلى إدخال الإبرة الممغنطة في مكانها بالكائن الآلي.

وانزلقت إلى الداخل. وتوقفت جميع الآلات في أماكنها.

وتنهد "توم سويفت" من أعماقه.

*****

وقفت المجموعة المرحبة بعودة "توم" و"ريك" تحت أشعة الشمس الصافية في صمت تام مشوب بالذهول بينما كان "توم" و"ريك" يرويان تجربتهما في "ليك كرلوبا"، وتفاصيل المأساة المروعة التي عملا على الحيلولة دون وقوعها بحظيرة منشآت "سويفت".

قالت "ساندرا":

– إنك بطل بحق.

وقالت والدة "توم" في النهاية:

– "زافيار ميس" رجل ذكي حقود. وقد وفقت في التفكير في إحضار إبرة إبطال فعالية إضافية.

فقال "توم":

– قمت بمغنطة ثلاث إبر حملتها معي تحسبا للحاجة إليها.

ربت على جيب صدر حلة طيرانه ثم شحب وجهه تماما عندما اكتشف أنه كان خاليا. قال بصوت خافت:

– عندما انبطحت على بطني فوق الجناح لابد أن تكون الإبرة الثالثة قد سقطت عندئذ.

فقالت "ماندي" مطوقة إياه بذراعيها:

– لا أهمية لذلك. فقد تمكنت من أن تسلب "أورب" قدرته على التدمير باستخدام الإبرة التي كانت متبقية معك. وهذا العمل في حد ذاته يجعل منك بطلا.

فقال "توم":

– بطلا سعيد الحظ.

فقالت "ماندي":

– النوعية التي أهواها. وأرى أنك أهل لاستقبال يليق بالأبطال.

طوقته بذراعيها وضمته إلى صدرها بحرارة ثم قبلته قائلة:

– هذا أقل ما ينبغي مني لشاب أنقذ حياتي.

كان السيد "سويفت" في تلك الأثناء يجري اتصالا هاتفيا بـ"فيل رادنور" يعده فيه بتقديم أية مساعدة قد يكون بحاجة إليها في التعامل مع حادث "ليك كرلويا". قال محدثا رجل الحكومة:

– ينبغي أن تكلف رجالك بالبحث عن "جاريت فراين". أبلغني "هارلان أميز" رئيس جهاز الأمن بالمنشأة بأنه قد اختفى تماما.

ثم ضغط السيد "سويفت" أحد الأزرار ليفتح مكبر الصوت.

قال "فيل":

– لو كانت لديه ذرة من الذكاء للاذ بالفرار. ليس من الشرطة فحسب بل من "التنين الأسود" أيضا. لأن "ميس" عنيف جدا مع من يحتمل أن يدلوا بشهادة ضده.

سأل "ريك":

– لكن ماذا عن "التنين الأسود"؟ ألن تعمل على القبض عليه يا سيد "رادنور"؟

– بأية تهمة؟

وشابت صوت "فيل رادنور" معاناة خمس سنوات من الصراع. قال:

– لم يقم "ميس" باختطافك. ومن المؤكد ألا يكون هناك أي ارتباط كان بينه وبين "كوجار".

شكر السيد "سويفت" صديقه وأنهى المكالمة.

قال "توم":

– نعلم أن "ميس" ليس في "ليك كرلويا".

فقال السيد "سويفت":

– ولك أن تتأكد أنه حتى لو بدأ رجال الشرطة بطرح أسئلتهم عليه فسيكون "ميس" مستعدا برواية مقنعة. وربما تقدم طابور من المواطنين الشرفاء من ذوي النفوذ ليقسموا على أنه لم يكن في مكان قريب من

"ليك كرلويا" وقت وقوع الحادث بل وعلى مدى الشهر السابق. على وقوعه كله. إنني آسف جدا لذلك لكن هذا هو الوضع الفعلي. هناك من الشرهين في العالم أعداد تكفي لمساعدة رجال من أمثال "ميس" للتملص من أي شيء باستطاعته أن يدفع ثمنه.

قالت "ماندي":

– حسنا. أرى أنه ينبغي علينا أن نكون سعداء بأن هناك عددا قليلا من الناس من أمثالك وأمثال "توم" لينزلوا المتاعب بالأشرار.

ابتسم "توم" قائلا:

– فعلتا به ذلك.. وخرجنا من هذه التجربة بنتيجة مجدية واحدة.

سأل "ريك":

– ما هي تلك؟

– تأكدنا من أن الموصِّلية المفرطة الجديدة غير مأمونة الاستخدام.

فقال السيد "سويفت":

– أهذا هو الخبر السار؟

فأجابه "توم":

– حسنا. كلفنا اكتشاف ذلك تدمير الجزء الأكبر من منشآت "التنين الأسود".

ضحك الجميع على ذلك. وقال السيد "سويفت" مبتسما:

– ومن المؤكد أنك قد أصبحت غير مطالب بدراسة مؤشرات التكلفة التي كنت قد كلفتك بها من قبل.

قال "توم" متمطيا بتثاؤب كبير:

– عودة إلى لوحة الرسم. لكن أعتقد أنني سوف أنال قسطا من الراحة اليوم.

ثم التفت إلى "ماندي" قائلا:

– ما رأيك في أن نذهب إلى الشاطئ؟ يمكنك اقتراض أحد ثياب السباحة الخاصة بـ"ساندرا".

فأجابته واضعة ذراعها في ذراعه:

– يسعدني ذلك.

تنهدت "ماندي" إذ وقع بصرها على لوح "الركمجة" الموضوع فوق المقعد الخلفي بينما كانا يضعان متعلقاتهما بداخل السيارة. قالت:

- تعلم.. سوف أفتقد فكرة إقلاع كلينا نحو غروب الشمس على متن ذلك اللوح.

فهز "توم" كتفيه قائلا:

- أصدقك القول بأنني أنا أيضا سوف أفتقد تلك الفكرة. لكن هناك شيئاً واحداً ينبغي عليك أن تعلميه من الآن عن أسرتي.

سألته "ماندي":

- وما هو؟

فابتسم لها "توم سويفت" قائلا:

- إن هناك دائما اختراعاً في الطريق.

تمّت بعون الله

www.elromancia.com